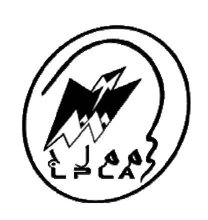
جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية الآداب واللغات



مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

أعمال اليوم الدراسي

بتاريخ: 2010/10/19

حول كتاب:

(... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم)

لــ: أ. د صالح بلعيد

الإيداع القانوني: 4- 3154- 0- 9947- 978

الردمك: 886 - 2011

منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

الفهرس

كلمة الأستاذة الجوهر مودر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛

أيّها الحضور الكريم نحيّيكم تحيّة عطرة، طيّبة قائلين لكم "السّلام عليكم جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته"؛ ثم بعد؛

يسعدنا ــ نحن أعضاء مخبر الممارسات اللغوية في الجزائرــ أن تلتقيَ بكم من جديد لنوافيكم في محورين عن نشاطات المخبر، ولا تفوتنا فرصة افتتاح السّنة الجامعيّة 2010 م/ 2011 م، لنتمنى للجميع التوفيق والنّجاح ودوام التّواصل العلمي بيننا؛ هذا التّواصل الذي ينظر إليه المخبر كقيمة ضروريّة الحضور في الأوساط الجامعية والتّعليميّة بشكل عام.

المحور الأول: أجندة النشاطات، خلال العام 2010م/ 2011م تتمثل في:

أولا: الملتقيات: والأيام الدراسية:

1- احتضان أوّل ملتقى وطني للمخبر حول «الممارسات اللغوية التّعليميّة التّعلميّة» أيام 9/8/7 ديسمبر 2010 م، وبالمناسبة تم تقديم ملخصات للحاضرين ودعوتهم إلى دعمه بالحضور المكثف.

2- التحضير لوضع خطة الملتقى الثاني المزمع تنظيمه قبل نهاية ديسمبر 2011 م.

ثانيا: الأيام الدراسية:

1- تنظيم يوم دراسي يقدمه مجموعة من الأساتذة الباحثين حول قضايا المنهج في علوم اللغة؛

2- إقامة يوم دراسي ثان أواخر شهر جوان يتم تجديد محاوره مستقبلا.

ثالثا: الإصدارات:

1- إصدار العدد الأول من المجلة (بعد العدد التجريبي) بداية شهر ديسمبر 2010م.

2- إصدار العددين الثاني والثالث من المجلة للعام 2011 م.

3- طبع أعمال الملتقى.

4- طبع أعمال دراسية لأعضاء المخبر.

رابعا: الاجتماعات:

1- اجتماعات عامة: تظم جميع أعضاء المخبر (الخميس الأخير من كل شهر) للاتفاق على أهم النشاطات وتضمن السير الحسن للمخبر.

2- اجتماعات خاصة: تخص أعضاء المجلة وتبرمج حسب الضرورة.

المحور الثاني: تقديم قراءات حول كتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم)

المؤلِّف: هو الأستاذ الدكتور صالح بلعيد أستاذ التعليم العالي بقسم الأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة مولود معمري تيزي وزو، وهو باحث معروف من خلال مؤلفاته الكثيرة في الدراسات اللغوية، والعديد من المقالات المنشورة في مجلات محكمة الوطنية منها والدولية، وعضو في العديد من المؤسّسات البحثية في الشأن اللغوي، فهو:

- عضو في المجلس الأعلى للغة العربية؛
- عضو في المجمع الجزائري للغة العربية؛
- وأحد أعضاء المعجم التاريخي؛
- عضو مخبر تحليل الخطاب سابقا؛
- رئيس مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.

المؤلَّف: عنوانه «... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم» صدر عن دار هومة للنشر والتوزيع الجزائر 2010م. يتضمّن قضايا لغوية مختلفة، منها العلاقة بين السياسة واللغة، ذهب المؤلف إلى أنّ اللغة لا يمكن أن تزدهر إلاّ في ظل حاكم قادر على تسيير أوضاع حكمه.

المواضيع التي عالجها الكاتب: وتتمثل في:

1- اللغة العربية والإرادة السياسية من أجل تمكين اللغة العربية في جميع المجالات؛

2- الحقوق اللغوية للطفل الجزائري؛

3- علاقة البربر بالعرب شواهد الامتزاج والحياة المشتركة؛

4- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى المازيغية؛

5- الحركة اللغوية في المغرب الإسلامي الوسيط؛

6- العمل العربي الموسوعي من القرن السابع الهجري إلى القرن الثاني عشر.

المتدخلون:

1- الأستاذة حفيظة يحياوي: بعدما استعرضت مواضيع الكتاب، توقفت عند الموضوعين الأول والثاني، بتحليل أهم الأفكار التي يتضمنانها، وعن واقع اللغة العربية باعتبارها اللغة الرسمية، أشارت إلى الوضع القائم في منطقة تيزي وزو والذي يوحي حسب رأيها بوجود جهة تعمل على فرنسة المنطقة، وزرع الخلاف بين الداعين إلى المازيغية ومن يدعو إلى اعتبارها لهجة.

أما عن لغة الطفل في الجزائر أشارت الأستاذة إلى عدم إيلائها الاهتمام اللائق خاصة بالنسبة لوسائل الإعلام التي تفتقر إلى برامج الأطفال باللغة العربية، وهي على قلتها تستعمل العامية وليس العربية الفصحى

واستشهدت بالحصة التلفزيونية «ساهلة ماهلة». كما أن دور الحضانة التي عرفت انتشاراً ملفتاً في السنوات الأخيرة أغلبها تستعمل اللغة الأجنبية. وفي الختام قدمت رأيتها الخاصة بوضع اللغة العربية الذي قالت أنه يحتاج إلى التجسيد أكثر من التنديد.

2- الأستاذ فرحات بلولي: توقف عند الموضوع الخاص بقضايا التراث العربي الإسلامي، وكانت دراسته للموضوع دراسة منهجية، إذ بحث من خلالها نظرة المؤلف إلى التراث، ووجد أنه قد ركز على ستة أمور منها دعوة المؤلف الباحثين إلى بعث التراث ونفض الغبار عنه، وفائدة العودة إليه بما يتميز به من علمية. مع تأكيده وجود إضافات في التراث العربي، والإشارة إلى تواصل الجهود. كما أكد المؤلف انتفاع الأمم الأعجمية من التراث العربي الإسلامي. وألح على اعتماد العمل الجماعيّ في إعادة إحياء التراث، مع استعمال التقنيات الحديثة كالحوسبة ومناهج المعلوماتية لما تتوفر عليه من السرعة والدقة.

3- الأستاذ عمر بورنان: تناول في العنصر الأول من مداخلته تحليل عنوان الكتاب الذي يشير إلى حاجة العربية في عصرنا هذا، إلى قرار سياسي يلزم استعمالها وتفعيلها في جميع الميادين، لكن صاحب المداخلة رأى في المسألة عدم كفاية العالم والحاكم، بل لا بد من عوامل أخرى من شأنها أن تؤدي إلى قيام العربية، فخص العنصر الثاني بذكر الدوافع التي تؤدي إلى ازدهار اللغة العربية استخلصها مما جاء ذكره منثورا في صفحات الكتاب منها حب اللغة والاعتزاز بها والغيرة عليها.

4- الأستاذ الباحث عبد الغني قبايلي: تتمثل مداخلته في قراءة في محور اللغة القومية والإرادة السياسية، هي قراءة فريدة من نوعها خرج بها الباحث عن كل الأنماط، بأن تعمد مقارنة بين السلسلة الطويلة من الفشل

الذريع الذي تخوض فيه الأمة العربية حكومات وشعوبًا ونجاح عدوها الأبدي المتمثل في الأمة الإسرائيلية في إحياء العبرية بفضل كتاب التوراة الذي جعلته الدستور العملي للدولة، وقد أراد من خلال هذه المقارنة ــ ما أشارــ إلى استفزاز الإرادات وشحذ الهمم. وفي عنصر آخر، عرض تجربة المجتمع الجزائري، وقدم شهادات لهؤلاء الذين أنصفوا الأمة العربية وعلومها كالإمام عبد الحميد بن باديس والرئيس الراحل هواري بومدين والمفكر الخالد مولود قاسم نايت بلقاسم. ثم انتهى بعرض أهم المؤسّسات التي من شأنها أن تشجع على ممارسة اللغة العربية.

5- الأستاذ إيدير براهيم: تناولت مداخلته المحور الخاص بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة المازيغية، ورأي الدّكتور بلعيد صالح في هذه المسألة كما عرض أراء العلماء في التّرجمة عند القدامى وعند المحدثين، وتناول أهميّة التّرجمة وشروطها، وأخيرا قام بتحليل بعض نماذج من ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية، وعرض تلك التي قام بها فضيلة الشّيخ سي حاج محند الطيب.

6- الباحثة سامية مشتوب: لا تختلف مداخلتها عن المداخلة السابقة إذ وقفت بدورها عند موضوع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة المازيغية، وبعد أن أشارت إلى ما جاء في كتاب من أفكار. واستعرضت نماذج من ترجمة الشيخ سي حاج محند الطيب، مشيرة إلى ما تراه خروجا عن المعاني الأصلية، فالقرآن الكريم نزل بالعربية ولا يفهم إلا بالعربية.

المناقشة:

تمّ فتح باب النقاش بين الحاضرين والمتدخلين، وطرحت أسئلة كثيفة في مختلف المحاور نظرا لأهمية المحاور وارتباطها بمسائل تتعلق بواقع لغوي حيّ. في الأخير أحيلت الكلمة إلى الأستاذ الدكتور صالح بلعيد صاحب الكتاب، الذي استرعت كلمته اهتمام الجميع إذ وضّح الكثير من النقاط وأجاب عن العديد من الأسئلة التي سبق للمتدخلين أن أحالوها إليه.

ملاحظة: تقديم هذه الأعمال دام من الساعة التاسعة صباحا إلى الساعة الثالثة وثلاثين دقيقة بعد الزوال من يوم الثلاثاء 11 من ذي القعدة 1431هـ، الموافق لـ 19 أكتوبر 2010م.

قراءة في كتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم)

لـ - الدكتور صالح بلعيد —

أ.**حفيظة يحياوي**

قسم اللغة العربية وآدابها

المركز الجامعي أكلي محند أولحاج –البويرة–

يقول البيروني: "**والله لأن أهجى بالعربية أحبّ إليّ من أن أُمْدَحَ بالفارسية**" اعتزّ العرب والمسلمون بلغتهم التي أُنزل بها القرآن الكريم على الرسول الأمين صلى الله عليه وسلّم، فقد أبهرت العالم بأسره، عندما كان أهلها يتعلّمون ويعلّمون بها، يفتخرون ويفاخرون بها، يستخدمونها في تحصيل مختلف العلوم والمعارف حتّى أصبح الغرب يتوافدون على الجامعات العربية والإسلامية من أجل التّعلم أمّا اليوم فقد اختلف وضع اللغة العربية باختلاف وضع متكلّميها، إذ تدهور بسبب محاولة الاستغناء عنها واستبدالها باللغات الأجنبية، لاعتقاد بعض الفئات أنّ التّقدم العلمي يكون بتلك اللغات. ولهذا من الواجب على الغيّورين على اللغة العربية أن يعملوا من أجل استعادة مجدها، لأنّها لم تساهم في فشل الأمّة العربية وتبعيتها للعالم الغربي وإنّما العرب أنفسهم تسبّبوا في تدهور وضعها.

ونجد من بين المدافعين عن اللغة العربية وممّن يعملون على تطويرها وترقيتها، والدعوة إلى استخدامها في جميع الميادين الأستاذ الدكتور "صالح بلعيد" في كتابه الموسوم بـ(**... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم**) وسنقدّم قراءة موجزة في هذا الكتاب.

إن الكتاب مجموعة من المقالات عددها ستّ (6) يدور موضوعها حول اللغة العربية، وواجب تعميمها في جميع المجالات، خاصة التعليمية

منها والسياسية، فالجزائر كدولة عربية وإسلامية تعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد، من الواجب على النّخبة فيها وأصحاب القرار أن يتكاتفوا من أجل إحلالها المكانة التي تستحقّها.

جاءت مقالات الكتاب مرتبة حسب أهميتها، فقد بدأ المؤلف الأستاذ الدكتور صالح بلعيد بموضوع: " **اللغة العربية والإرادة السياسية من أجل تمكين اللغة العربية في جميع المجالات**" لأنّه رأى أنّ القرار لأصحاب القرار في هذا الأمر فعنوان الكتاب (**... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم**) جاء ليؤكّد هذا الأمر، إذ أنّ الحاكم يستطيع إصدار قرارات لا يستطيع العالم إلاّ أن يبدي رأياً فيها.

وإن أمر تعميم اللغة العربية في جميع المجالات بيد الحاكم لا بيد العالم، إذ يمكن أن يعود في ذلك إلى النّخبة لا من أجل إصدار قرار تعميمها، وإنّما من أجل دراسة كيفية تعميمها، لأنّه يجب اتّباع سياسة معينة لأجل ذلك، لأنّ قرارات تعريب التعليم أصدرت من قبل ليس في الجزائر فقط، وإنّما في معظم الدول العربية، إلاّ أنّها فشلت بدرجات متفاوتة، ما عدا سورية التي نجح فيها التعريب بشكل كبير ومميّز، فإذا عدنا إلى أسباب ذلك نجد أنّ هناك اتّحادا بين النّخبة والسلطة، عملا معا من أجل ترقية اللغة العربية وتعميمها في جميع الميادين، ذلك ما لم يحدث في باقي الدول العربية، إذ هناك شرخاً كبيراً بين الطبقة السياسية والنّخبة التي فشلت في إقناع أصحاب القرار من أجل تعميم استعمال اللغة العربية وتطويرها في جميع المجالات العلمية والإدارية والسياسية، وغيرها من المجالات الحيوية في الوطن.

جاء عنوان الكتاب (**... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم**) قياسا على قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: "**إنّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**" معناه أنّ السلطان له تأثير على العامة أكثر ممّا للقرآن، فالسلطان

يستطيع أن يكبتهم عن القيام ببعض الأمور التي نهى الله عنهـا أكثـر مـن القرآن، فالعامة تخشى السلطان وعقابه أكثر ممّا تخشى عقاب الله.

أمّا عنوان الكتاب (**... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم**) وبما أنّه يتحدّث عن اللغة العربية وكيفية تطويرها وترقيتها، والحفاظ عليها وتعميمهـا فـي مختلف الميادين، فإنّ هذا الأمر منوط بالحاكم، إذ عليه هو إصـدار القـرار بالعودة إلى العالم أو النّخبة التي يفترض أن تكون مستشارا أو شريكا لهـذا الحاكم، لأنّه يجب أن يعتمد على النّخبة في اتّخاذ القرارات، لأنّه إذا ما عدنا إلى التاريخ الإسلامي نجد أنّ الخلفاء المسلمين كانوا يعتمدون على العلمـاء في تسيير أمور الرعية.

ملخّص الكتاب: بدأ المؤلف بموضوع **اللغة العربية والإرادة السياسية من أجل تمكين العربية في جميع المجالات** للنهوض باللغة العربية يجـب أن تتضافر جهود اللغويين والنّحويين والسياسيين والمجتمع المدني، حيث تمكين اللغة يرتبط باستخدامها في التعليم وفي الإدارة وفي الـصحافة وفـي كـلّ المجالات.

وتوفّر الإرادة السياسية هو الذي يعيد للغة العربية مكانتها، لأنّ التقـدّم والتّطور لا يكمن في تدريس العلوم باللغات الأجنبية، وخير مثال على ذلـك نجد اليابان الذي اعتمد على لغته القومية في تدريس العلوم، فنراه اليوم بلـدا صناعيا متطوّرا على جميع الأصعدة، في حين نجد الـدول العربيـة تهـتمّ باللغات الأجنبية، على حساب اللغة العربية التي أهملت في جميـع الميـادين خاصة ميدان الإدارة والتعليم العالي ومع هذا الوضع السيئ الذي تعيشه اللغة العربية، إلاّ أنّ التفاؤل بغد أفضل لها يجب أن يكون، لأنّ عدد متكلّميها فـي ارتفاع مستمرّ، كما أنّ هناك من يهتمّ بها وبترقيتهـا، مـن خـلال عديـد النشاطات والمشاريع الكبرى من مثل: مشروع الذخيرة العربيـة، مـشروع

المعجم التاريخي للغة العربية، مشروع ترجمة ألف كتاب، لذلك على النّخبة أن تقدّم الأفكار، وعلى الحاكم أن يصنع القرار، لأنّ الأمر يعود إليه أوّلا وأخيراً.

المقال الثاني بعنوان: "**الحقوق اللغوية للطفل الجزائري**" كلّنا يعرف ويعلم أنّ لكلّ طفل الحقّ في البقاء والصحة والتعليم... وغير ذلك من الحقوق التّي أقرّتها الأمم المتّحدة لهذه الشريحة من المجتمع في العالم.

ويكتسب الطفل اللغة من المحيط الذي ينشأ فيه، فيبدأ بلغة أمّه وأبيه والمحيطين به، ثمّ الشارع الذي يخرج إليه، ثمّ يأتي بعد ذلك دور المسجد والمدرسة التي تضيف إلى رصيده المعرفي معطيات جديدة، فالطفل الجزائري بصفة عامة يستعمل اللغة العامية، من أوّل يوم ينطق فيه إلى غاية ذهابه إلى دار الحضانة ثمّ المدرسة، لأنّها اللغة المتداولة في المجتمع الجزائري، ومن واجبات الباحثين والمربين تقديم ما يحتاجه الطفل من اللغة نطقاً ومعجماً وإذاعةً وكتابةً وأنشودةً وروايةً وقصّةً، فمن حقّ الطفل أن يجد كلّ ما يحتاج إليه من اجل تنمية قدراته اللغوية، ومن أجل اكتساب لغة سليمة بدءا بالاهتمام بلغة رياض الأطفال إلى المؤسسات التعليمية في مختلف الأطوار.

المقال الثالث: "علاقة البربر بالعرب شواهد الامتزاج والحياة المشتركة" حيث عاش العرب الفاتحون إلى جانب البربر (الأمازيغ) حياة مشتركة، فالصراع الوحيد الذي كان بينهما حول الحكم، لا حول اللغة فالأمازيغ قبلوا اللغة العربية كما قبلوا الدين الإسلامي، إذ عاشا لقرون في وحدة لغوية، فاتّحدا من أجل نشر تعاليم الدين، والصراع بين العربية والأمازيغية بدأ منذ دخول فرنسا إلى الجزائر والتي أقصت العربية والأمازيغية من الاستعمال، واحتدّت هذه المسألة في ثمانينيات القرن

الماضي، حين أنكر بعض الباحثين على العربية تصنيفها كلغة وطنية أولى والمسؤول عن هذه الفرقة فرنسا الاستعمارية التي لا تريد الاستقرار لهذا البلد، لذلك على النخبة أن تدرك الخطر الذي يتهدد الوطن بالدعوة إلى أخذ العبرة عن أسلافنا الذين عاشوا في وَحْدَة لغوية وفكرية طوال عدّة قرون.

المقال الرابع: " **ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية**" ترجم القرآن الكريم إلى أكثر من 600 لغة، كما نجد في لغة واحدة عدّة ترجمات فعلى سبيل المثال توجد أكثر من 100 ترجمة إلى اللغة الإنجليزية وحدها. ولذلك اختلف العلماء في أمر ترجمة معاني القرآن الكريم، إذ هناك من يحرّم هذا العمل بدعوى أنّ القرآن معجز لا يمكن ترجمته، وأنّ الترجمة تفقد القرآن روعة النظم العربي. وهناك رأي آخر يجيز الترجمة من أجل قراءة القرآن الكريم وفهمه من غير العرب تسهيلاً وتبسيطاً لهم باعتماد الشروط العلمية، مع وجود لجنة تعمل على الترجمة. أمّا الترجمة إلى الأمازيغية فهناك ترجمة "جهادي الحسيني البوعمراني "إلى اللهجة السوسية (المغرب) وترجمة الجزائري" سي حاج محمد الطيب إلى القبائلية.

المقال الخامس: "**الحركة اللغوية في المغرب الإسلامي الوسيط**" حيث تطوّرت الحركة اللغوية في المغرب الإسلامي الوسيط منذ أوّل دولة حكمت هذه البلاد (الدولة الإدريسية، دولة الأغالبة، الدولة الفاطمية الدولة المرابطية والموحّدية...) لأنّ حكّام هذه الدول أولوا أهمّية كبرى للعلم والعلماء، فقد شجّعوا البحث العلمي، قربوا العلماء إلى بلاطاتهم وجعلوهم في مناصب راقية. ولقد أسّست الزوايا والمعاهد والمساجد والرباطات والمكتبات وألّفت العديد من الكتب المتميّزة، إضافة إلى المراكز الثقافية العلمية في مختف البلاد المغاربية كمركز بجاية، مركز شنقيط، مركز فاس...

وقد تميّز علماء المغرب الإسلامي عن غيرهم من المشاقة، فمثلا تأليف المنظومات النّحوية عمل انفرد به نحاة المغرب، أمّا إذا عدنا إلى العصر الحاضر فنجد أنّ علماء المغرب يهتمّون بتطوير وترقية اللغة العربية بفضل مشاريع نأمل أن تجسّد في أرض الواقع مثل: المعجم التاريخي للغة العربية بيت الحكمة الجديد للترجمة.

المقال السادس: "**العمل العربي الموسوعي من القرن السابع الهجري إلى القرن الثاني عشر**" سميت هده المرحلة بعصر الانحطاط، لأنّه كثر فيها التكرار في التآليف والنقل وشيوع التلخيصات والشروح، إلاّ أنّ هناك ما ميّز هذه الفترة، وهو ظهور التأليف المعجمي الموسوعي والطبقات الكبرى وكان الهدف منها التعرّف على الرجال وتراجم حياتهم، وعلى الطبقات التي هي سجّل للأنشطة الثقافية والدينية والعلمية للأمّة الإسلامية، ومن أهمّ المؤلّفات في هذا العصر نجد: معجم البلدان لياقوت الحموي ت 626 هـ وفيات الأعيان لابن خلكان ت681 هـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ت1041هـ...

قراءة في المقال الأوّل: "**اللغة العربية والإرادة السياسية**" يمكن القول إنّ الحاكم له السلطة العليا في البلاد، إذا أراد تطبيق أمر معيّن لا يحتاج فيه إلى توصية من أحد، سواء كان دلك من جامعة الدول العربية أو غيرها من الهيئات. وفي الجزائر نجد أنّ هناك بعض الأوساط تعيق تعميم استعمال اللغة العربية في جميع المؤسسات سواء التعليمية أو العمومية وتدعو إلى فرنسة الإدارة، إذ نجد مثلا في منطقة القبائل، وتحديدا في الجامعة أنّ معظم الأوراق التي تستخرج من الإدارة كتبت باللغة الفرنسية، في حين نجد أنّ نفس الأوراق تستخرج من جامعات أخرى باللغة العربية، وينطبق هذا أيضا على ما نراه في الشارع من لافتات على واجهات المحلاّت، حيث كتبت كلّها

باللغة الفرنسية. ونجد أطرافاً تعمل على خلق اصطدامات بين بعض الفئـات في الطبقة المثقفة، فهي تعمل علـى زرع الخـلاف خاصّـة بـين هـؤلاء المتعصّبين للغة الأمازيغية، وبين دعاة تركها كلغة عامية تستخدم في الحديث وفي الحياة العامة، لا في مجالات أخرى.

أمّا بالنسبة للمجتمع العربي بصفة عامة، فهناك من يعتبر اللغة العربية هي الوطن والدين والعرض، وهناك من يعتبرها لغة الدين فقط، أمّا العلـوم فيجب أن تدرّس باللغات الأجنبية (الإنجليزية في المشرق والفرنسية في دول المغرب) في حين إنّ الدول المتقدّمة تسعى جاهدة من أجل تطـوير وترقيـة لغتها، حتّى إسرائيل التي هي في الأصل تابعة للولايات المتّحدة الأمريكيـة وخاضعة لحمايتها، فإنّها تسعى وبكلّ الوسائل الممكنة إعادة الاعتبـار للغـة العبرية، التي كانت تعدّ لغة ميتة إذ أعيد إحياؤها وأصـبحت تـدرّس فـي مختلف الجامعات الإسرائيلية، وقد كان دلك بـإرادة أهلهـا ومـسؤوليها، لا بتخاذلهم. فالدول العربية ودول الخليج بصفة خاصّة قد سيطرت عليها العمالة الأجنبية فهي تستعين بخدماتها في جميع الميادين حتّى في البيـوت، حيـث يربّى أطفالهم وينشأون تنشئة أجنبية، سواء كان ذلك في اللغة المتحدّث بها أم في العادات التي يكتسبونها.

وما يزيد الطين بلّة أنّ المسؤول والمواطن العربـي يعـي خطـورة الوضع الذي تعيشه اللغة العربية، ولا يولي للأمر أهمّية، فهو يسعى دائمـا لإتقان اللغات الأجنبية أكثر من لغته الوطنية، فهم يدّعون وجود مشاكل فـي ارتقاء اللغة العربية بوجود العاميات في جميع البلدان العربية، إلاّ أنّ هذا لا يمكن أن يعيق تطوّر هذه اللغة إذا توفّرت الإرادة السياسية، وتضافرت جهود النخبة من أجل ذلك.

ويجب أن تدرك النّخبة على اختلاف آرائها وتوجّهاتها وانتماءاتهـا أنّ التّقدم العلمي لا يكون إلاّ بالعودة إلى اللغة العربية، لأنّها اللغة الوطنية، وما تقدّمت أمّة قط بلغة غيرها، أو بلغة مستعمرها؛ ولأنّ اللغـة العربيـة لغـة القرآن الكريم، وفي وقت مضى كانت تحتلّ المرتبة الأولى بين لغات العـالم أجمع؛ لأنّ العرب والمسلمين كانوا رواد هذا العـالم فـي مختلـف العلـوم والمعارف.

إذن لا يمكننا القول بأنّ اللغة العربية ليست لغة علميـة، لأنّ التـاريخ الإسلامي والعالمي بيّن غير ذلك، نحتاج فقط إلى بعض الـشجاعة العلميـة وبعض الإرادة السياسية للعودة باللغة العربية إلى الزمن الذي كانت تـدرّس بها مختلف العلوم، إذ كان الطلبة يتوافدون من مختلف الدول الغربيـة إلـى الجامعات الإسلامية والعربية لاكتساب العلم والمعرفة.

قراءة في المقال الثاني: أمّا بالنسبة لموضـوع "**الحقـوق اللغويـة للطفل الجزائري**" فنلاحظ في هذا المجال أنّ هناك نقصا في الاهتمـام بلغـة الطفل في الجزائر، فمثلا عند برمجة الملتقيات والأيام الدراسية، قلّمـا نجـد برنامجا خاصّا بلغة الطفل أو كتاب الطفل، اللهمّ بعض الأعمال التي تخـصّ مسرح الطفل، إلاّ أنّ معظم المسرحيات تقدّم باللغة العامية، ولـيس باللغـة العربية الفصحى. إضافة إلى نقص البرامج التلفزيـة والإذاعيـة الخاصّـة بالطفل، وإن وجدت فهي لا تراعي الجانب اللغوي وتنميته عند الطفل، فمثلا إذا عدنا إلى التلفزة الجزائرية نجد أنّ هناك برنامجا بعنوان "**ساهلة ماهلـة**" خاصّة بالطفل تقدّمها مجموعة من الأطفال، إضافة إلـى المنـشّطة باللغـة العربية الفصحى في بعض الفقرات ، وباللغة العامية فـي بعـض الفقـرات الأخرى، إلاّ أنّ العامية طغت على الفصحى بشكل كبير، مع أنّ هذه الحصّة تقدّم بمساهمة من المجلس الأعلى للغة العربية، وهو مؤسّسة تعمـل علـى

ترقية وتطوير اللغة العربية والحفاظ عليها، من خلال عديد النشاطات التي تقوم بها. وهذا البرنامج يعدّ الوحيد بالنسبة للتلفزة الجزائرية ممّا يدفع بأطفالنا إلى التوجّه للقنوات الفضائية الخارجية سواء العربية أو الأجنبية حيث يجدون ضالّتهم في الاستمتاع بالرسوم المتحرّكة، فعندما يتابعونها باللغة الأجنبية لا يفهمون في معظم الأحيان ما يدور فيها، أمّا إذا كانت باللغة العربية فهم يردّدون ما جاء فيها خاصّة الأغاني، فهم يحفظونها بسرعة، وهذا أمر جيّد لكن في بعض الأحيان تستخدم القنوات العربية مختلف عامياتها ما يعود بالضرر على لغة الطفل الجزائري، الذي لا يفهم كلّ ما يقدّم في تلك البرامج، ويحفظ لهجات تشوّش عليه استخدام اللغة العربية الفصحى، لذلك نجد أنّه من الضروري أن تقوم التلفزة الجزائرية بإنتاج برامج تجعل الطفل ينجذب إليها تقدّمها باللغة العربية.

إضافة إلى نقص في تنظيم الملتقيات والندوات والبرامج التلفزية الخاصّة بلغة الطفل، نجد نقصا آخر بالنسبة للهيئات والمؤسّسات العامة والخاصّة، فإذا عدنا إلى دور الحضانة مثلا، نجذ أنّ الكثير منها تستخدم اللغة الأجنبية في تنشئة وتنمية الرصيد اللغوي للأطفال، وهناك بعض الأولياء يبحثون لأطفالهم عن مثل هذه الدور، فعلى من يقع اللّوم هنا؟ هل على الأولياء؟ أم على دور الحضانة، أعتقد أنّ اللّوم يقع على جميع الأطراف باستثناء الطفل الذي يكون مجبرا على الامتثال لرغبة والديه، لأنّه في هذا السّن لا يمكنه الاختيار، ولو منح هذه الفرصة لفضّل البقاء في البيت على الذهاب إلى دور الحضانة. لذلك يجب على النخبة هنا توعية جميع فئات المجتمع بضرورة العودة إلى اللغة العربية وتنشئة أطفالهم على حبّها والاهتمام بها لا على احتقارها والنفور منها.

إنّ الدعوة إلى ترقية اللغة العربية واستخدامها في مختلف الميادين يجب أن يأخذ منحى تطبيقيا، لأنّ التوصيات لم تعد ذات أهمّية في يومنا هذا، فكلّ الملتقيات والندوات والمؤتمرات التي تنظّم حول موضوع اللغة العربية تخرج في الأخير بتوصيات تبقى حبراً على ورق، فإذا ما عدنا إليها نجدها مكدّسة في أدراج الخزائن، لا نعود إليها إلاّ إذا برمج ملتقى آخر يتمحور حول اللغة العربية.

نحن اليوم في حاجة إلى التجسيد أكثر من حاجتنا إلى التنديد، فوضع اللغة العربية يجب أن يتحسّن لأنّ دعاة ترقيتها وتطويرها في تزايد مستمرّ يمكن لهم أن يعملوا من أجلها ولأجلها. لكن هذا لا يعني أبدا إهمالنا للغات الأجنبية " فمن تعلّم لغة قوم أمن شرّهم " كما يقول المثل العربي، فتعلّم لغات الأقوام الأخرى نعمة لنا، يمكن أن نطّلع من خلالها على مختلف العلوم والمعارف لديهم، كما يمكن أن نترجمها إلى اللغة العربية، لذلك نقول إنّنا لسنا من الذين يهمّشون اللغات الأجنبية وإنّما من دعاة تعلّم مختلف اللغات إذا استطعنا، المهم أن نحافظ على لغتنا ولغة ديننا ورسولنا ﷺ مع العمل على ترقيتها وإكسابها الصبغة العلمية التي كانت تتميّز بها في العصور الذهبية للدولة الإسلامية.

في الأخير يمكننا القول: إنّ الكتاب بصفة عامّة يحتوي على مواضيع لها دور كبير في الدّعوة إلى الاهتمام أكثر باللغة العربية، وتفعيلها في جميع الميادين، إلاّ أنّنا لا يمكن أن نعتمد فقط على التوصيات التي تخرج بها المؤتمرات والندوات التي تبرمج حول اللغة العربية. وفي اعتقادي أنّ الأمر لم يعد يحتاج إلى توصيات أو قرارات من طرف منظّمة أو هيئة معيّنة، لأنّ الأمة العربية كأمّة إسلامية، تعتبر الدين الإسلامي دين الدولة، واللغة العربية اللغة الرسمية، يستطيع حكّامها إصدار قرارات تعيد للغة العربية مكانتها بالعودة دائما إلى النّخبة التي تمثّل هذه اللغة خير تمثيل.

قراءة في كتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم)

لـ أ.د صالح بلعيد

أ/إيدير إبراهيم

يندرج عملنا هذا ضمن مقال أورده الأستاذ في كتابه، أين أشار إلى إشكالية ترجمة ونقل القرآن الكريم إلى لغات أخرى، وعنوانه: "**ترجمة معاني القرآن الكريم (الترجمة المازيغية)** حاول فيه أن يبيّن ضرورة وجود مثل هذه الترجمة، وتناول فيه:

- قواعد ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية.
- صفات المترجم.
- منهج بعض المترجمين المستشرقين.

وأكد الأستاذ أنّ الترجمة فن عسير، تقتضي موهبة ودراية كبيرة باللّغة المنقول منها والمنقول إليها، وتمكّنا من اللّغتين العربية والمازيغية وهما اللّغتان اللّتان تهمنا في هذا المقام، وإحاطة واسعة بمفردات اللّغتين، وتذوقا مرهفًا لأساليب اللّغتين وظلال المعاني فيهما، وأكد أنّ الترجمة تقوم في جوهرها على تذوق للّغة المنقول منها واللّغة المنقول إليها، وخاصة إذا تعلّق الأمر بترجمة القرآن الكريم.

إنّ ترجمة القرآن الكريم هي نقل صورة أمينة كلّ الأمانة للمعاني التي تتجلى فيه إذ يشترط فيها: العودة إلى التفاسير ودقّة الفهم ووضوح الأسلوب وأحكامه واصطناع المصطلحات المازيغية المرادفة للمصطلح

العربي، كما يشترط في المترجم الجيد أن يكون واسع الثقافة ملّما بفروع المعرفة المختلفة فضلا على تمكنه من اللّغة التي ينقل منها.

مفهوم الترجمة: لقد تعددت مفاهيم الترجمة من الناحيتين اللغوية والاِصطلاحية فكانت لها تعريفات عند القدامى والمحدثين.

لغة:

الترجمة عند القدامى: يقول **ابن منظور** في لسان العرب (1232-1311م) التَّرجمان والتُّرجمان: المفسر للسان، وفي حديث هرقل: قال لتُرجمانه-التَرجمان-بالضم والفتح، وهو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التراجم، والتاء والنون زائدتان، وقد ترجمه وترجم عنه قال **ابن جني:** أما التُرجمان فقد حكيت فيه ترجمان بضم أوله، ومثاله فعللان كعترفان ودحسمان، وكذلك التاء أيضا فمن فتحها أصلية[1].

أما في **معجم الوسيط** فقد جاء: ترجم الكلام أي بيّنه ووضّحه، وكلاَم غيره وعنه: أي نقله من لغة إلى أخرى، ولفلان ذكر ترجمته (الترجمان): المترجم جمع تراجم وتراجمُ (الترجمة) ترجمة فلان: سيرته وحياته جمع تراجم[2].

كما ورد في قاموس المحيط **لفيروز أبادي:** الترجمان كالعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان، وقد ترجمه وعنه[3].

الترجمة عند المحدثين: يقال ترجم فلان كلامه: إذا بيّنه ووضحه وذلك يكون بتفسيره بكلام آخر، كأن يأتي المتكلم بجملة عالية المستوى، ثم يوضّحها بعبارة أخرى يفهمها السامع[4]. وجاء في كتاب **شحادة الخوري** في لسان العرب لابن منظور"يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى والشخص يسمى الترجمان، وهو يفسّر الكلام[5].

ينطلق اسم الترجمان علي الذي يقــوم بالترجمـــة، وذلك بنقل نصوص، لغة ما إلى أخرى مثلا من اللّغة الانكليزية إلى اللّغة العربية. وعليه نقول أن لكلمة الترجمة معنى واسعا قد اِستعمله ابن النّديم في كتابه "**الفهرست**" عندما قال: «فسره عبد الله بن المقفع فكان عنده التفسير والترجمة شيئا واحدا، ويستدل عن ذلك كله على أن كلمة ترجمة وترجمان وتراجم عربية صريحة الأصل فصيحة لا لبس فيها، وهي ليست من أصل أعجمي ولا محوّلة عن معنى آخر[6].

وجاء في معجم Larousse

1. Traduction (n.f), La traduction : action de traduire, une traduction littérale fidèle.

- Action de transposer dans une autre langue (ouvrage traduit).

2. Faire passer un texte, un discours, etc… d'une langue dans une autre : traduire du latin en français.

3. Manière d'exprimer, de manifester quelque chose par une transposition: est ce que la traduction exacte de votre pensée

4. Traduction automatique : traduction assistée par ordinateur, traduction des textes par des moyens informatiques[7].

يتضح أن مجمل المعاجم اللغوية العربية والفرنسية وكذلك مختلف الكتب تشترك في تعريف واحد على أنّ الترجمة لغة التفسير والنقل من لغة إلى أخرى، كما تعني أيضا الإبانة والتوضيح.

الترجمة اصطلاحا: بالنسبة للمفاهيم السابقة الذكر حول الترجمة، فهي تعتبر نموذجا فقط للسان أما بالنسبة لمعناها في اللغات الأجنبية كالفرنسية

والإنجليزية وغيرها من اللغات، نجد لفظة traduction مثلا في الفرنسية مشتقة من الفعل traduire ، كما نجد لفظة translation في الانجليزية مشتقة من الفعل translate، نلاحظ أن هذه المفاهيم نصبت في قالب واحد ويتجلي ذلك في المعنى الاصطلاحي لها، وهو نقل نص من لغة إلى لغة أخرى. غير أنّ المعروف عند العرب القدامى أن الترجمة عبارة عن نوع من التفسير، وهو المعنى الصحيح لها، إذ إنه يشترط فيها حسن النّقل وصحة الفهم. ويمكن القول أن الترجمة تكون مُطَابِقة مطابَقة تامة كلما تعلق الأمر بنصوص علمية دقيقة. أما ترجمة النصوص الأدبية فإنه من العسير، بل ومن المستحيل أن يتطابق النص المترجم مع النص الأصلي، لهذا نجد النصوص المترجمة تختلف دائما إما قليلا أو أكثر عن النصوص الأصلية.

كما نجد تعريفا آخر للترجمة في اللغة الفرنسية، تعتبر أن الترجمة الجيدة هي التي تنقل النص الأصلي نقلا أمينا على قدر الإمكان سواء من حيث الشكل والمضمون وهو كالتالي:

«La meilleure traduction est celle qui à rendre le plus fidèlement possible le texte original, tant pour le fond que pour la forme»[(8)].

كما نجد التعريف التالي:

«Intérêt de la traduction : non pas remplacer un mot par autre, mais autrement les même idées que l'auteur, c'est aux élèves habitués à viser l'idée par delà le mot , que la traduction sera bénéfique par connaissance approfondie des deux langues, la formation d'une culture bilingue plus enrichissante »[(9)].

وجاء في المجلة العربية للثقافة: الترجمة هي نقل اللفظ الأعجمي بمعناه إلى ما يقابله في اللغة العربية.

وقال **إبراهيم خورشيم:** الترجمة فن عسير، تقتضي موهبة دراية كبيرة باللّغة المنقول منها وإليها، والترجمة عمل غير مشكور كما يقول المثل الانجليزي (A thankless job) إنّها تتطلب جهدا أشق من الجهد الذي يبذل في التأليف، ذلك أن المترجم يكون محضورا في كلام المؤلف ومعانيه وليست له من الحركة ما للمؤلف في اختيار الألفاظ والمعاني التي تَحُوله.

أهمية الترجمة: تتجلي أهمية الترجمة في إسهامها مباشرا في الاطلاع على الثقافات الأجنبية وسيرها ومسايرة تطورها ومعرفة أسباب قوتها، الأمر الذي يؤدي إلى إخصاب وإثراء ثقافة اللغة المستقبلة (المترجم إليها).

إن ما أمدت به الترجمة الثقافة العربية الإسلامية من علوم ومعارف متشعبة ومن مصطلحات علمية وفلسفية جعل القائمين عليها يدركون مدى خطورة الترجمة وأهميتها، الأمر الذي دفعهم إلى العناية بها منذ عهد مبكر.

ما يجب معرفته في الترجمة: علينا أن نراعي في الترجمة الفوارق المعنوية والأسلوبية والبلاغية في أية جملة أو نص أو خطاب، كما يجب أن يكون التناسب في الجمل الشرطية والاستثناء والحصر والقسم...

- يجب مراعاة الأدوات والحروف، فهي تشكل منهاجا منتظما.
- ترجمة الكلمة والعبارة وما دون الجملة كالأفعال والأسماء والضمائر والصفات والظروف، تتّم على المستوى التركيبي الذي صيغت فيه، فهذا المستوي –التركيبي– هو ما نسّميه (ما فوق اللّغة)، فتركيب اللغة العربية مثلا يتغيّر من صيغة أسلوبية إلى أخرى، ومثال ذلك ما نجده في تركيب الجملة الفعلية في العربية: فعل + فاعل + مفعول أو فعل + مفعول +

فاعل أو مفعول + فعل + فاعل، ففي حالة التقديم والتأخير تكون الترجمة مستحيلة، وهذا ما يؤدي إلى تشويه الجملة أو الخطاب.

- في مستوى الترجمة إلى العربية لا يجب أن تعتمد أساسا على البدء بالجملة الاسمية، إنما يمكن تجاوز ذلك، مع الاحتفاظ على معاني النص فتكون الترجمة غير حرفية، لكنها تحتفظ بالمعنى الأساس.

- إنّ للحروف علاقات تكون واضحة فيما بعدها، لذلك يجب أن تكون واضحة.

ومن الأخطار التي تواجهها الترجمة ما يتعلق بجمال الألفاظ وموسيقاها فقد يؤثر كاتب على آخر، سواء في اختيار الألفاظ أو في ترتيله فيها، أو في إيقاعها ورنتها الموسيقية، وما تحدقه عند السامع، وهذه التراكيب اللغوية وكيفية بنائها هي الجانب الذي يتعرض للتبديل والتغيير أثناء عملية الترجمة.

إنّ المجازات والتشبيهات والاستعارات والأمثال التي يتضمّنها النص الأدبي المستمدة من البيئة، ومن ثمّ فإنّها تختلف من بيئة إلى أخرى، الأمر الذي يجعل دلالاتها تختلف من لغة إلى أخرى، فقد يتعارف أصحاب لغة من اللغات على أنواع من المجازات والتشبيهات والاستعارات لا يتعارف عليها أصحاب لغة أخرى، ويوجد لديهم من الأمثال ودلالة بعض الكلمات بما بها من الشمول أو التحديد، ولا يوجد في لغة عندهم، وإنّه إذا نقل المعنى المراد فقد يذهب ببلاغة الكلام ورقّته، وإذا نقلت البنية الشكلية فقد يذهب بالمعنى ويكون مجالا للسخرية والاستهزاء.

فبالنسبة للنصوص الأدبية تكمن الصعوبة فيها لأنها تعتمد على التصوير والعاطفة والتأثير والانفعال، إلى جانب ما يمكن أن تشتمل عليه من أفكار خاصّة لّما تخرج الكلمة عن دلالتها اللغوية المألوفة.

مساهمات اللغويات في الترجمة

1. الوحدة اللغوية للترجمة ليست الكلمة منفردة أو الجملة الوحيدة بل النص.

2. لا ينبغي للترجمة أن تدرس كمقارنة ومطابقة بين نصين، بل عملية تفاعل بين المؤلف والمترجم والقارئ بصفته مترجما (تفكيك الرموز).

3. لذلك ليست العوامل المهمة هي ملامح النص، بل طرائق استعمال اللغة التي تظهر في ملامح النص.

4. ينبغي على هذه الطرق أن تظهر في إطار الاتصال، وينبغي النظر إلى هذه الطرق، وذلك بالرجوع إلى سياق الاتصال، فاستعمال اللغة الأدبية في النصوص يمثل سياقا خاصا.

5. ترشد عملية الترجمة عدة مجموعات من الطرق التي تستجيب للتوجيهات من ضمن النص، تبرز إحدى هذه المجموعات الخلافات المنتظمة بين اللّغتين، وتعتمد مجموعة ثانية على نوع اللغة المستعملة الموجودة في نص واحد، وتطبق مجموعة ثالثة التعليمات المنتظمة في اختيار المفردات المكافئة ضمن أطرها المناسبة.

منهج الترجمة: يستعمل **نايدا** مثلا: نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية في الترجمة فأقرّ بأنّ القواعد التوليدية هي أكثر الطرق فعالية للتّصدي لمشاكل الترجمة، شرط أن نقوم باستخدام تام للعمليات التحويلية transformationnelle ويمكن تلخيص منهجه كما يلي:

1. أن يحوّل النص الأصلي إلى أبسط إشكاله بنية وتركيبا ومعنى.

2. أن يحوّل المعنى من اللّغة المصدر إلى اللّغة الهدف على مستوى تركيبي بسيط.

3. أن يولد التعبير المكافئ في الأسلوب والمعنى في اللّغة الهدف.

وقد قدّم Sagher النموذج لإقامة ترجمة صحيحة وسمّاه: Sagher's model of translation assessment

1. Distinguish between linguistics and translation.
2. Know the domain.
3. Know the meaning.
4. Build the meaning.
5. Choose the right word.
6. Be creative.
7. Express yourself.
8. Consider the circumstances.
9. Organize the message.

وقد حاولنا بدورنا أن نترجمها إلى العربية على حسب ترتيبها كما يلي:

1. التمييز بين الترجمة واللسانيات.
2. معرفة الموضوع أو مجال النص في اللّغة الأصل.
3. تعرّف على المعنى.
4. ابْنِ المعنى.
5. التمس الكلمة الصحيحة.
6. كن متخلّقا.

7. عبّر بلغتك (وهنا في حال عدم وجود المقابل، يلجأ المترجم إلى التّصرف).

8. يجب مراعاة ظروف النص (أي سياق النص).

9. إعادة ترتيب النص (نظم الخطاب).

وإذا عدنا إلى الدراسات القديمة، نجد أنّ الجاحظ قد أشار إلى علم الترجمة وقدّم الشروط الواجب توفرها لدى المترجم وهي:

- يرى الجاحظ أنّ التّرجمة الجيّدة الصحيحة يقتضي أن يَكون الذي يقوم بها (المترجم) متوفرا على الشروط التالية:

1. أن يكون المترجم متمكنا من اللّغتين (المترجم منها والمترجم إليها).

2. أن يكون متخصصا في موضوع المعرفة الذي يتعرض لترجمته.

3. أن يكون من حيث تكوينه المعرفي في مستوى المؤلف الذي يترجم كتبه.

4. أن يكون على دراية تامة بثقافة أهل اللغة التي يترجم منها وكذا عاداتهم وتقاليدهم وطرائقهم في تصريف اللغة.

وفي الأخير يقول أنّه من العسير أن نجد مترجما يفي بكلّ هذه الشروط وسبب ذلك هو:

- إنّ اللّغة تصدر عن قوة واحدة، ومتى تعدّدت اللّغات توزعت كذلك القوة، وذلك عدد وضعف، وفي هذا الشأن يقول: «وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنّما له قوة واحدة

فإنّ تكلّم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليها، وكذلك إن تكلّم بأكثر من لغتين[10].

– ولا يوجد مترجم في مستوى المؤلف، وهنا قال الجاحظ: «ولابدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة» في وزن علمه وفي نفس المعرفة، ويجب أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنّه قد أدخل الظمّ عليها، لأنّ كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتقترص عليها[11] وقد بنى الجاحظ حكمه هذا على أساس خبرته في الترجمة وكثرة اطّلاعه.

لقد تناول الأستاذ في كتابه هذا موضوعا مهما وهو ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى، ومنها اللغة القبائلية، وبيّن أهمية هذه الترجمة التي تكمن في تسهيل فهم القرآن الكريم على المسلمين الناطقين بغير العربية وتحقيقا للبلاغ المأمور في قوله (ص): «***بلّغوا عنّي ولو آية***» واستدل بترجمة قام بها فضيلة الشيخ سي الحاج محند محمد الطيب، هذه الترجمة التي قدّمها باللغة القبائلية، باستشارة الأستاذ السعيد بويزري وبمتابعة وتوجيهه فضيلة الشيخ أولفقي، وبعناية ومراقبة فضيلة الشيخ محمد الطاهر أيت علجت وفضيلة الشيخ جعفر أولفقي. وفي هذا المقام إنّنا لنشكر له هذا المجهود، والذي نرجو أن يكون خالصا لوجه الله الكريم وأن ينفع به الناس.

تحليل بعض نماذج الترجمة: لقد تعدّدت الآراء في النظر إلى الترجمة القرآنية، فهناك من قال بعدم إمكانية الحصول على الترجمة الكاملة، لذلك يجب الاقتداء بكل كلمة خوفا من ضياع المعنى الداخلي للآيات.

ترجمة القرآن الكريم في العربية تعني التفسير أي داخل اللّغة، وهي كذلك بمعنى الشرح، حيث إنّ المعنى الثاني هو تفسير القرآن بغير لغته فهي طريقة لإيضاح القرآن الكريم وتبيّنه لمن لا يعرف اللغة العربية (اللغة الأصلية للقرآن الكريم) فهي بذلك تعيد المسلمين غير العرب إلى تفهمه وإدراكه ومن ترددهم له سيدركون عقائده وأركانه وسيعلم الآخرون معناه يقول الله تعالى: ﴿ولا يعلمون ما يقولون﴾ فيمن ينطق نطقا غير سليم.

وهنا نجد **عبد الجليل عبد الرحيم** يقدّم لنا الأسس المتبعة للخروج بترجمة سليمة وصحيحة في كتابه «لغة كتاب القرآن الكريم» وهذه الشروط هي[12]:

1. أن تكون مسندة إلى أصول صحيحة (عدم التّحريف).
2. يجب الاعتماد على السّنة النّبويّة في تفسير القرآن، وما ثبت بطرق صحيحة من الصّحابة لإدراكهم للغة العربيّة.
3. أن يكون المترجم عالما بأوضاع اللّغتين.
4. أن لا يكون ملتفتا بالهوى والميل إلى عقيدة معينة مخالفا ما جاء في القرآن الكريم (فمثلا blachair مترجم القرآن غير مسلم).
5. يجب رفع وهم اعتبار الترجمة هي القرآن أو أنّها تشمل على جميع ما حواه من معان وأسرار، لذا يجب مراعاة ما يلي عند طبعها (أي الترجمة):

- طبع المصحف وترقيم آياته بأرقام اللغة المترجم إليها تفسيرا بمعنى أنّه يجب أن يكتب تفسير كل آية برقمها المترجم به في القرآن.
- أن يكون التفسير باللغة التي ترجم إليها القرآن، حيث يجب الترقيم بالأرقام التي رقّمت بها آيات المصحف، إذ يفهم القارئ غير العربي

أنّ ما يقرأه ترجمة لتفسير القرآن، حيث تفهم تفسير كل آية من رقمها المرقّم به في المصحف وفي التفسير.

وإذا توفرت هذه الشروط كانت هذه الترجمة مطلوبة شرعا وطلب الفرد كفاية لأنها نوع من التّفسير.

وفيما يلي سنعرض نموذجا من ترجمة **سي الحاج محند الطيّب:**

سورة الفاتحة **ثسُورتس الحمد (الفاتسِّحة)**

بسم الله الرحمن الرحيم أسْيِسْم أرّبِّ ذرَحْمَن ذَرَحِيم

الحمد لله ربِّ العالمين(1) 1 –أنَحْمَدْ رَبِّ (أَثْنْشْكَرْ) ذْنتْسَا إذْ پاپأثْخلْقِيث

الرحمن الرحيم (2) 2 –ذَرَحْمَنْ ذَرْحِيمْ

مالك يوم الدين (3) 3– أَسَن الحَقْ نتسَا إذْ بَابِسْ

إياك نعبد وإياك نستعين (4) 4–أذكتش كان أرانعبذ، أذكتش كان اذمْعَاوَنْ

اهدنا الصِّراط المستقيم (5) 5– أملاغْ أيريذ إصْوَيْنْ

صراط الذين أنعمت عليهم(6) 6–أيريذ أبْويذْ إثنَعْمت فَلاَّسْنْ

غير المغضوب عليهم ولا الظّالين (7) 7–ماشي أذْوذاك كسَّرْفَان نَغْ ذْ وذْ مُعَرْقَنْ إيرْذانْ

كتابة ترجمة السورة بالحرف اللاتيني:

Tsurep l'Ëamd (L'fatiha)

s-isem Rebbi d-raêman d-Rêim

1. Aneêmed Rebbi (at-necker) d neppa i-d-bab n txelqit

2. D-Rahman, d Rhim
3. Ass l'haq netta id-bab-is
4. D-Keçç kan a r-anaεbed, d-keçç kan id-amεiwen
5. Mleγ abrid Iûewben
6. abrid n-wid itnaεmev fellas-en
7. Maci d-wid-ak k issarfen, neγ wid m-iεarqen ibardan.

بعض الآراء في الترجمة: في تسمية السورة: احتفظ المترجم باسم السورة (الفاتحة) وفي الكتابة أشار إلى النغمة الصوتية باللهجة القبائلية فأضاف حرف (تس) الذي تتميز به القبائلية، ونجده أيضا يستعمل تسمية أخرى وهي (الحمد) لان من أسماء الفاتحة نجد: الحمد والواقية والوافية والشافية والأساس والسبع المثاني والصّلاة ويقال لها الرّقية، وقال الزمخشري هي سورة الصّلاة والكنز [13].

في البسملة: بدأت البسملة بجار ومجرور (بسم الله الرحمن الرحيم) إذا عدنا إلى كتب التفسير، نلتمس في مستوى هذه الجملة حذفا وهو حذف الفعل والفاعل، ويكون تقدير المحذوف: أنوي أو أبدأ قراءة القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، وقد افتتح الله تعالى جميع سور القرآن– إلاّ التوبة– بهذه الآية ليرشد المسلمين إلى أن يبدأوا أعمالهم وأقوالهم (بسم الله الرحمن الرحيم) التماسا لمعونته وتوفيقه، ومخالفة للوثنيين الذين يبدأون أعمالهم بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم الاّت، باسم العزّى، باسم هبل، يقول **الطبري**: «فقول القائل: بسم الله الرحمن الرحيم، إذا افتتح تاليا سورة يريد: اقرأ باسم الله، وكذلك سائر الأفعال»[14].

نجد أن المترجم قد احتفظ بمصطلحات اللغة الأصل مع إحداث تغيير وذلك على مستوى كلمة الله، فاستعمل (ربّ–Rebbi) وكان عليه أن يبقى كلمة (الله)، فقوله لله: الام للاختصاص والاستحقاق، والله اسم ربنا عز وجل لا يسّمى به غيره، ومعناه المألوه أي المعبود حبًّا وتعظيما. والرّبّ: مَنْ اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق الملك والتّدبير، فهو الخالق والمالك لكلّ شيء، والمدبّر لجميع الأمور، فهو رب الإنس والجنّ والملائكة وربّ السموات والأرضيين ومن فيهن وما بينهنّ مما نعلم وما لا نعلم، ولا يستعمل (الربّ) لغير الله، وتقول بالإضافة ربّ البيت وربّ كذا.... وقد قيل إنّه اسم الله الأعظم[15].

رغم تقارب المعاني الإجمالية للاسمين، إلاّ أنّ العلماء يقولون بوجوب الاحتفاظ بكلمة (الله) وبعدم ترجمتها، نذكر منهم الدكتور محمود سعدان في كتابه (علم اللغة) يؤكد هذه الفكرة فيقول: «كلمة الله لا يمكن أن تترجم إلى God لأنّ جمعها في الانكليزية Gods والفرنسية Dieux، في حين أنّ كلمة الله لا تجمع ولا تثنى فالله واحد». وهنا نجد أن المترجم استعمل كلمة (رب) فأدت معنى الله واحتفظت بسمتها الاعجازية، وكلمة (Rebbi) معروفة في اللسان القبائلي أنها تدل على الخالق، رغم استعمالها في صيغ أخرى، فيكون استعمال المترجم لهذه الكلمة موفقا ولا يخلّ بالمعنى.

كما نجد أنّ المترجم راع الصيغة التركيبية في البسملة، حيث بدأ بحرف جـــار فنجده يترجم حرف الجار (الباء) بـــ(s) بالقبائلية، فحروف الجار لها علاقات معنوية في القبائلية لذا يجب أن تكون واضحة حين الترجمة إلى القبائلية (S-isem Rebbi) فكان عليه أن يتصرف في هذه

الترجمة كأن يشرح البسملة مثلا، ويجعل الشرح بين قوسين أو عارضتين أو يشرح البسملة في التهميش فيتجلي المعني العام من البدء ببسملة.

كما أبقى على الكلمتين (الرحمن الرحيم) وهما صفتان لله تعالى وأضاف حرف (d) في القبائلية لأنه حرف يستعمل للوصف والتعيين.

ترجمة السورة:

1.أنحمد رب (أَثْنَشْكَرْ) ذْنَتسا إِذْ پَاپْ أَثْخَلْقِيثْ.

وجاء في النص الأصل (الحمد لله) ولم يقل (نحمد) بصيغة الفعل فجيء بالتعريف (الـ) للاستغراق، أي استغراق جميع المحامد، كما جاء في الحديث «اللّهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الأمر كله». وقوله (لله) فالام للاختصاص والاستحقاق، فنجد أنّ المترجم قد تصرف في الترجمة، وكان عليه أن يشرح هذه المفاهيم العظيمة التي تجلت في هذا التركيب، بعد ذلك أضاف كلمة (at-necker) وهي غير واردة في النص الأصل، وتكون هذه الكلمة شارحة لقوله (الحمد) لكنها لم تؤد جميع هذه المعاني.

كما تصرف في كلمة (الله) والتي ترجمها بـ (Rebbi) وقد تناولنا هذا فيما سبق لذا لا حاجة لنا لإعادته.

بعد ذلك يقول: ذَنَتَسا إِذْپَاپْ أَثْخَلْقِيثْ وهي ترجمة لقوله تعالى (رب العالمين) أشرنا فيما سبق إلى معنى كلمة (رب) والعالمين، قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالم وقيل: العالم كل ما خلق في الدنيا والآخرة ونجد أن المترجم استعمل كلمة (ذْپَاپْ) أي صاحب الشيء بالقبائلية، وما زاد هذه اللّفظة تأخذ المعنى الإعجازي أنّها أضيفت إلى كلمة (ثَخَلْقِيثْ) فتكون هذه الترجمة قريبة إلى المعني الذي جاءت به الآية.

2. ذرحمن ذرحيم

وجاء في النص الأصل: الرحمان الرحيم، والرحمان الرحيم هما اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة يدلان على اتصاف الله تعالى بالرحمة والبر والجود والكرم وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، ونجد أنّ المترجم احتفظ بالكلمتين (الرحمان الرحيم) وأضاف لها الحرف (d) وهو حرف يستعمل للتعيين والوصف فآل إلى ترجمة حرفية (traduction mot à mot)، وهذا ما جعل القارئ يكشف نوعا من الغموض في فهمه صفتي الرحمان والرحيم فمن مساوئ الترجمة الحرفية أنّها تخفي الإضافات التي لا يمكن استكشافها إلاّ بمعناها وحالتها (الواقع) فهي بذلك لا تأخذ المعنى الإعجازي للفظة.

3.آس الحق نتسا إذ بابيس

وجاء في النص الأصل ملك يوم الدين والملك صفة لله عز وجل، فهو الملك الأعظم، ووصفه بالملك لأنّ له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، ومن عموم ملكه أنّه لا يكون شيء في ملكه بغير مشيئته[16] ويوم الدين: هو يوم القيامة، والدين هنا بمعنى الجزاء، أي أنّ الله تعالى مالك لذلك اليوم الذي يجازي فيه الخلائق، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنّه قد تقدم الإخبار أنّه رب العالمين، وجاء تخصيص يوم الدين لأنّه المتصرف في يوم الدين تصرف المالك في ملكه، فجميع هذه المعان الدقيقة لم تتجل في الترجمة وقد أغفلها المترجم، وكان عليه أن يتصرف ويلجأ إلى الشرح ليفهم القارئ المعاني الإجمالية للنص القرآني.

4. أذكتش كان أرنعپد، ذكتش كان إذ أمعاون

ويقابلها في النص الأصل: إياك نعبد وإياك نستعين، ومعني الآية: لا نعبدك إلاّ أنت، وبك نستعين على طاعتك ومرضاتك، فهو الغني الكبير والكل إليه فقير، وهو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها. وقد حاول المترجم أن يقرب للقارئ هذه المعاني كلها فاحتفظ على الصياغة التركيبية الأصل بتقديمه للضمير (ذكتش) ففيه التفات من الغيبة إلى المواجهة بضمير الخطاب (Keçç)، وكان عليه استعمال بعض المورثات الشعبية القبائلية كالأمثال مثلا ويجعلها بين عارضتين أو قوسين، فتكون شارحة للآية ودالة على معانيها، كقولهم مثلا في الاستعانة بالله (Amdan γer wemdan, êala Rebbi ig-imed-en) وهذا المثل يدل علي مدى حاجة الإنسان إلى ربه.

5.أملاغ أپريد إصوپن

وهي ترجمة لقوله تعالى: أهدنا الصراط المستقيم، وقيل في الصراط: هو الطريق والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه وأهدنا تضمنت المعاني التالية: ألهمنا ووفقنا وارزقنا وأعطنا ودلّنا وأرشدنا، ويكون المعنى كما يلي: دلنا على الطريق المستقيم إلى الحق إلى الدين ثبتنا على الإسلام. فنجد أنّ المترجم اختار كلمة (إصوبَنْ) ومعناها: لا اعوجاج فيه وهي بذلك قريبة إلى هذه المعاني.

6.أپريد أبْوَيْذ اثنعمت فلاسن

وجاء في النص الأصل: صراط الذين أنعمت عليهم، والذين أنعم الله عليهم هم من ذكرهم في سورة النساء ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكف بالله عليما**﴾ (النساء،79–80)، فكان لزاما على المترجم أن يشرح ويشير إلى هؤلاء الذين قصدهم الله تعالى في الآية، فيأتي بأية تكون شارحة للآية السابقة، وهذا ما نسميه تفسير القرآن بالقرآن، لكن المترجم اكتفى بالترجمة الحرفية وهذا النوع من الترجمة لم تؤد المعاني الإجمالية للآية.

7.ماشي أذوذاك كسرفان، نغ وذ معرقن اپرذان

وهي ترجمة لقوله تعالى: غير المغضوب عليهم ولا الضالين والمعنى في الآية: لا تجعلنا من الذين غضبت عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا بالحق وعدلوا عنه وهم اليهود، وفي الترجمة نلتمس نوعا من الإبهام، فالقارئ لا يفهم ما يقصد في الترجمة لأنّ المترجم اكتفى بالترجمة الحرفية، كذلك لما ترجم (ولا الضالين) بـــ: نغ ويذ معرقن إپرذان والظالون هم النصارى الذين ضلوا عن الشرقية، فاستحقوا الغضب واللّعنة الأبدية.

إن ترجمة **الشيخ محمد الطيب** هي حصيلة ما بلغه علم المترجم في فهم كتاب الله الكريم، وكان منهجه كما يلي:

- اعتماده على رواية ورش عن نافع.
- قراءته للتفاسير المشهورة.
- العودة إلى الترجمات السّابقة بالفرنسية والمازيغية.
- تمكنه من اللغتين (العربية والمازيغية).

- اعتماده وبكثرة على الترجمة الحرفيّة.
- تقسيمه للترجمة حسب الأحزاب.
- ترقيم الآيات ضمن الترقيم الأصلي في القرآن الكريم.
- شرح بعض معاني الكلمات وجعل الشرح بين قوسين.

إنّ هذه الترجمة –ومهما حوت من أخطاء– لَمحاولة عظيمة في خدمة كتاب الله ونقل معانيه إلى المازيغية. أمّا ما يخص ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى فلن أقول إلاّ ما قاله الأستاذ صالح بلعيد «ومن هنا يبقى القرآن الكريم خاصّا باللّغة العربية التي هي خير معبّر عن مكنونه، وأمّا الترجمات فتكون حاصرة عن المراد».

الإحــــــــــالات:

1– ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، دار صادر، بيروت،1990، ص66.

2– مجمع اللغة العربية، **معجم الوسيط**، ط2، شركة الإعلانات الشرقية القاهرة 1985 ص87.

3– فيروز أيادي، **قاموس المحيط**، ط1، دار الجيل، بيروت، ص74.

4– عبد الغفار حامد هلال، **العربية خصائصها وسماتها**، ط4، مطبعة الميلاوي ع202، مصر 1995، ص504.

5– شحادة الخوري، **دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**، ط2، دار تونسي تونس ص51.

6– المرجع نفسه، ص32.

7 –**Dictionnaire encyclopédique illustre en couleur**, édition : Larousse, Paris, 1997.

8 – Samille Hechaime : **La traduction par les textes, distribution orientale**, Seyrouth, Lyban, 1980.

9– يوسف هاجر، **دراسة في أصول الترجمة**، بيروت: 1986، دار المشرق، ص230

10– الجاحظ، **الحيوان**، ج1، تح: الأستاذ عبد السلام هارون. دط، دب، دت، ص77.

11- المرجع نفسه، ص78.

12- عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة كتاب القرآن الكريم،** مكتبة الرسالة الحديثـــة، عمـــان: 1981 ص536-538.

13- ينظر: الطبري، **جامع البيان،** ج1، ص47.

14- ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج1، ص23.

15- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، المجلد 1، ص101.

16- ينظر: ابن قيم الجوزية، **شرح أسماء الله الحسني،** ص117-118.

قراءة في كتاب "...يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم"

لـ - أ. د. صالح بلعيد-

أ. سامية مشتوب

قسم اللّغة العربية وآدابها

جامعة مولود معمري –تيزي وزو–

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿**اللّهمّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واحلل عقدة من لسـاني يفقهوا قولي**﴾

الحمد للّه تعالى والصّلاة والسّلام على رسوله ونبيّه وحبيبه المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعه إلى يوم الدّين

أمّا بعد:

شرف كبير بل وفخر كبير أن أتقدّم اليوم بهذه القراءة المتواضعة في كتاب (**... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم**) لأستاذنا الفاضل **الدّكتور صالح بلعيد** والّتي تشمل مقالته الموسومة بـ "**ترجمة معاني القرآن الكريم إلى المازيغية**" الّتي تطرّق فيها إلى قضية ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى خصوصا مع الاِنتشار الواسع الّذي عرفه الإسلام في باقي بقاع العالم خارج البلاد العربية وذلك بغية تسهيل قراءته وفهم أحكامه ومعانيه للمسلمين النّاطقين بغير اللّسان العربي عملا بقوله تعالى ﴿**يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم**﴾ (**الحجرات: 13**) وبقول رسوله الكريم –صلّى اللّه عليه وسلّم– "**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**" (رواه البخاري) فالقرآن الكريم كتاب اللّه

العزيز وكلامه العظيم الّذي أنزله على حبيبه المصطفى-صلّى اللّه عليه وسلّم- به توحّدت الأمم وائتلفت القلوب باختلاف الألوان واللّغات واجتمعت تحت راية واحدة راية الإسلام الّتي يستنيرون بنورها ويهتدون بشريعتها لذلك ففكرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى كانت ضرورة ملحّة على الأقلّ في بداية الأمر باعتبارها الجسر الوحيد الّذي يمكنه أن يضمن الاِتصال الدّائم للمسلمين عربا وعجما بدينهم، لكنّها قد تخرج أحيانا عن هدفها المنشود وغاياتها السّامية ما إن لم تكن مضبوطة ومنظَّمة بأسس وقواعد علمية وموضوعية يتّبعها المترجم أو النّاقل لمعاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى، وهي الفكرة الّتي طرحها الدّكتور صالح بلعيد في مقالته هذه الّتي تناول فيها عناصر عدّة نلخّصها في النّقاط التّالية:

1. **مبرّرات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى:** إنّ الهدف الأساسي من هذه العملية هو تعريف الأعاجم بالدّين الإسلامي لتمكين النّاس من فهم معانيه ودلالاته، وقدِ كان ظهور هذه الفكرة مرتبطا بالفقهاء واللّغويين العرب القدامى، فهي في هذه الحالة لا تُسمّى ترجمة بل محاولة لنقل معاني القرآن الكريم للآخر مع الحفاظ على حمولته الدّلالية ثمّ تطوّرت في العصر الحديث لتشمل كذلك فكرة التّعريف بالحضارة الإسلامية العريقة ومدّ الصّلات مع العالم الحديث خاصّة مع ظهور الحركات الاِتّصالية بين الشّعوب.

2. **مباريات التّرجمة:** سمّاها الكاتب بالمباريات باعتبار التّنافس الكبير الّذي كان سائدا بين مترجمي القرآن الكريم خصوصا في القرون الأخيرة وحسب رأيه فأولى التّرجمات الرّسمية المكتوبة للقرآن الكريم تعود إلى المحاولات الأولى في نقله على اللّغات اللّاتينية في إطار الحركات الاِستشراقية وقد تُرجم القرآن الكريم إلى ستّ مئة لغة في العالم إضافة للتّرجمات المتعدّدة في اللّغة الواحدة دون أن يُغفِل في ذلك دور الأتراك والفرس المسلمين الّذين

خدموا الإسلام والحضارة الإسلامية خصوصا بتركيزهم على تعلّم اللّغة العربية للغوص أكثر في معاني القرآن الكريم ودلالاته.

3. **اِختلاف في وجهات الرّأي**: ترجمة القرآن الكريم ليست بالأمر الهيّن، فهي تستلزم الاِضطّلاع الواسع على معانيه ودلالاته ومواطن الإعجاز فيه، كما تتطلّب إتقان اللّغة العربية والدّراية بقواعدها وأصولها وبحكم الإعجاز اللّغوي والبياني في لغة القرآن الكريم فقد اختلفت الآراء في قضية ترجمته وظهر في ذلك فريقان متخالفان:

1.3. فريق أوّل يحرّم ترجمة القرآن الكريم أو نقله إلى اللّغات الأخرى لأنّهم يرون في ذلك تحريفا له ونشرا للفساد فهو كلام اللّه المعجِز نزل باللّغة العربية ولا يُقرأ إلاّ بها، لا يمكن أن يُترجَم إلى لغة أخرى لأنّ ذلك يفقده طلاوته وروعة النّظم العربي.

1.3. فريق ثانٍ يجيز هذه الفكرة ويُبيحها شريطة أن يحيط النّاقل أو المترجم بمعاني النصّ القرآني كلّها مستدلّين في ذلك بالصّحابي سلمان الفارسي –رضي اللّه تعالى عنه– الّذي نقل سورة الفاتحة إلى اللّغة الفارسية لتسهيل قراءتها على أبناء جنسه حتّى يتمكّنوا من الصّلاة بهـــا فقبـــل النّبيّ –صلّى اللّه عليه وسلّم– ذلك وأرسله إليهم يعلّمهم دينهم باللّغتين العربية والفارسية[1] لكن، وإن كان لترجمة القرآن الكريم جانب إيجابيّ في فهم دلالاته ومعانيه إلاّ أنّ هناك ترجمات أخرى أساءت للإسلام والعقيدة الإسلامية لأنّها تحوي أخطاءً فادحة مقصودة وغير مقصودة.

4. قواعد ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية: ترتكز هذه العملية على قواعد وأسس علمية صارمة وضعتها الهيآت المختصّة في هذا المجال من مؤسّسات دينية عربية إسلامية وباحثين يعملون على نشر تعاليم الدّين الإسلامي يرون في ذلك تسهيلا وتبسيطا لغير العرب في فهم

القرآن الكريم، فترجمة معاني القرآن الكريم بالنّسبة إليهم ليست بالأمر الهيّن لذلك لابدّ أن تكون قائمة على هيأة أو لجنة متعدّدة الاِختصاصات بحيث تكون ملّمة بمعاني القرآن الكريم وأحكامه وأسراره ومواطن الإعجاز فيه وبدلالات ألفاظه وكلّ أنواع العدول والاِنزياحات فيه مفرداته، مع إلمامها التّام بقواعد اللّغة العربية وأصولها.

5. ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة المازيغية: يرى الكاتب أنّ هذه الفكرة جاءت متأخّرة عند المازيغ لأنّ اللّغة العربية صارت جزءا من كيانهم تعلّموها واستطاعوا من خلالها فهم تعاليمه وقواعده الفقهية لذلك لم يكن من داعٍ بالنّسبة إليهم من ترجمته، إضافة إلى ذلك فاللّغة المازيغية لم يكن يمكنها أن تفي بهذا الغرض لذلك فضّلوا قراءة كتاب اللّه العزيز بلغته الّتي نزل بها، لكنّ ذلك لم يمنع من ظهور بعض المحاولات في هذا المجال نذكر منها: العمل الّذي قام به المغربي جهادي الحسين البوعمراني عضو الجمعية المغربية للبحث والتّبادل المعرفي الّذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللّهجة السّوسية عام 2004، كما كتب السّيرة النّبوية بالمازيغية[(2)] وأعمالا أخرى لا يتّسع المقام لذكرها، وفي الجزائر نجد تجربة الشيخ سي الحاج الطيب الّذي حاول خوض غمار هذا المجال بترجمته للقرآن الكريم إلى اللّهجة القبائلية، وقد طُبع عمله في كتيبات وأقراص سنة 2008 فلقي ذلك استحسانا كبيرا لدى أبناء منطقة القبائل الّذين يعيقهم جهلهم بقواعد اللّغة العربية وأصولها عن فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه ودلالاته لكنّ ذلك – وحسب رأينا– لم يمنعه من الوقوع في بعض المزالق الّتي يمكن أن تخرج بالنصّ المترجَم عن الدّلالات الأصلية للنصّ القرآني فتدخلنا في متاهات التّأويل والاِفتراضات، لذلك نجد أنفسنا ملزمين على ذكر البعض منها بغية لفت انتباه القارئ إليها بالدّراسة والتّحليل وهي كالآتي[(3)]:

- **أسماء السّور أو الآيات:** كأن نقول مثلا سورة التّين أو سورة الأعلى فقد صارت هذه الأسماء بمثابة اسم العلم بالنّسبة للسّور القرآنية بالتّالي فهي من الخصوصيات المقدّسة للقرآن الكريم الّتي لا يمكن ترجمتها لأنّ ذلك يفقدها شحنتها الدّلالية بالتّالي يفقدها قيمتها وقداستها لتتحوّل بذلك إلى شيء عاديّ كباقي الأشياء الأخرى، نذكر من ذلك:

- سورة البقرة ←ثَسُورْتسْ نْتْفُنَاسْثْ

البقرة وكما نعرفها حيوان أليف يستفيد منه الإنسان، وقد سُمّيت هذه السّورة بها لأنّها مرتبطة بقصّة رجل من بني إسرائيل قام بنو أخيه بقتل ابنه ليرثوه، طرحوه على باب مَدْيَنَة ثمّ جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم اللّه أن يذبحوا بقرة كاملة الأوصاف ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله، فعلوا ذلك فقام المقتول حيّا ونطق باسم قاتليه ثمّ سقط ميتا فقُتل الّذين قتلوه بعده[4] وفي اللّهجة القبائلية يسمّيها سي حاج محند الطيب بـــ (ثَسُورْتسْ نْتْفُنَاسْثْ) كمقابل لـــ (سورة البقرة) ما يُفقدها دلالاتها الدّينية لتتحوّل للدّلالة على البقرة الحيوان العادي.

- آيات الكرسي ←لاَيَاثْ نكُورْسِي

وهي متعلّقة بالآية الكريمة﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ**﴾(البقرة آ255)

تحمل كلمة كرسي في هذه الآية وحسبما جاء به الإمام الزّمخشري أربع دلالات تتّصل كلّها بعرش الرّحمن وعظمته وعلمه وملكه[5] لكنّ عبارة (لاَيَاثْ نكُورْسِي) في المقابل القبائلي تحيلنا مباشرة على الكرسيّ الفعليّ الّذي نستعمله للجلوس وفي ذلك خروج عن المعنى الحقيقي للنصّ القرآني وحطّ من قيمته.

- **اللّفظ الغريب:** نجد في بعض السّور ألفاظا لا يستطيع القارئ فهمها، فهي إمّا مهمَلة أو قديمة أو مستعَارة من اللّهجات الأخرى نذكر مثلا ما جاء في سورة الفيل:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

سْبِيسْمْ رَبِّ أَحْنِين تشُّرْنْ ذْلْمْحْنَّا

﴿**ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول**﴾

﴿**مَثْحْسِيظْ أَمْكْ يْخْدَامْ بَابِيكْ سِيمُورَا نْلْفِيلْ، أُويْرَّارَا لْكِيذْ نْسْنْ غَرْذَاخَلْ يْذْمَرْنْنْسْنْ، يْضْلَقْ لْضْيُورْ فْلاَّسْنْ، ذِيقُولْفَانِ دْتْسَاسْن رَجْمْنْتْنْ سِيلْقَّاشْنْ يكَالْ ذِيقُورَانْنْ آرَلْمِي قْلَنْ امَّلِيمْ وِنَّكْنِّي يْمْتشَّنْ**﴾

نجد في هذه التّرجمة كلمتين غريبتين وظّفها المترجم يصعب فهمها على القارئ ممّا يجعل المعنى غامضا بالنّسبة إليه وهي: **سِيمُورَا** أصحاب، **سِيلْقَّاشْنْ** ← **حجارة** مع أنّه لو ترك كلمة(أصحاب) كما هي ما دام لا يوجد لها مقابل باللّهجة القبائلية، ووضع كلمة (إِيزْرَا) كمقابل لكلمة (حجارة) لكان أكثر وضوحا.

- **تذبذب دلالات الألفاظ والكلمات:** وهذا وارد بطريقة ملحوظة في العديد من الآيات، نذكر مثلا:

- ﴿**إنّه لقول فصل وما هو بالهزل**﴾ (الطّارق آ13- 14)أي أنّ القرآن الكريم يفصل بين الحقّ والباطل، فهو جِدّ لا هوادة فيه[6] لذلك فعبارة(مَشِي ذَغْنِّي ذْشْضَاحْ) الّتي اقترحها سي الحاج الطيب لا يمكن أن تكون مقابلا فعليا للآية الكريمة ﴿**وما هو بالهزل**﴾ فالقرآن الكريم أسمى من

أن يقارَن بالغناء والرّقص لماذا لم يَقل مثلا (مَشِي ذَنْشْرَاحْ) أو أيّ مقابل يكون معناه على الأقلّ قريبا من معنى الآية الكريمة.

• ﴿**الّذين يؤمنون بالغيب، __ويقيمون الصّلاة__، وممّا رزقناهم ينفقون**﴾(البقرة آ3) ⟵ (تْسْحَكِّرْنَاسِ ثْزَلِّيثْ) كلمة(تْسْحَكِّرَنْ) في بعض المناطق من القبائل الكبرى توظَّف بمعنى النّظر الدّقيق، أمّا في مناطق أخرى فهي بمعنى أداء العمل بإتقان، ولعلّ يس الحاج الطيب واحد من الّذين يوظّفون هذه الكلمة بالمعنى الثّاني فهو يعني أداء الصّلاة بشكل جيّد في هذه الآية، لكنّ تعدّد معاني الكلمات ودلالاتها في اللّغة الواحدة أو اللّهجة الواحدة لابدّ من أن يُؤخذ بعين الاِعتبار تفاديا لأيّ لبس قد يقع في محاولة القارئ فهم المعاني الدّقيقة للآيات والسّور.

• ﴿**أُحلّت لكم بهيمة الأنعام إلاّ __ما يُتلى عليكم__**﴾ (المائدة1) (حَشَى يْنَاوْنْدْغْرْنْ) أي إلاّ ما يُقرأ عليكم، ففي الآية الكريمة يُحلّ اللّه تعالى لعباده كلّ أنواع البهائم إلاّ ما جاء ورد تحريمها في القرآن الكريم أي كالميتة والدّم ولحم الخنزير، بالتّالي فعبارة(حَشَى يْنَاوْنْدْغْرْنْ) لا تفي بالغرض في هذه الحالة فهي متعلّقة بفعل القراءة أمّا في الآية الكريمة فما(يُتلى) متعلّق بما حُرّم تناوُله من بهيمة الأنعام.

كما نجده قي بعض الآيات يضيف ألفاظا غير موجودة في النصّ الأصلي نذكر مثلا قوله تعالى﴿**إنّا أعطيناك الكوثر**﴾ فيقول(نْفْكَيَاكْ وَادْلْكُوثْرْ) فقد أضاف كلمة الوادي في وهي غير موجودة في السّورة. فلو وظّف هذه الكلمة لكان المعنى أوضح بالنّسبة للقارئ الّذي لا يتقن اللّغة العربية.

هذه بعض الهفوات وأخرى لا يتّسع المقام لذكرها وقع فيها الجزائري سي حاج محند الطيب في عمله كشفنا عنها سعيا منّا للفت الاِنتباه إليها بالتّصحيح والتّنقيح، حتّى نتفادى أيّ ارتباك قد يقع في فهم أبناء منطقة القبائل

لكتاب اللّه الحنيف، ما سيحثّنا بالضّرورة على المضيّ قدما لتطوير هذا النّوع من الدّراسات في الجزائر وفي البلاد الإسلامية جمعاء.

رجل آخر كانت له بصمته الخاصّة في مجال ترجمة القرآن الكريم في يمكن أن نضيف اسمه في هذا المقام هو الشّيخ الشّاعر محند أمزيان بوستة[7] أوّل من خاض غمار هذا الميدان بالجزائر، بدأت رحلته مع القرآن الكريم سنة 1981 بترجمة سورة الإخلاص الّتي نوردها كالآتي:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

سْيِيسَمْ أُوكَلِيذْ يِيوَانْ ذُو الرَّحْمَة يُوَسْعَانْ أَرْحِيمْ أُورْنَسْعِي وِيسِّنْ

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد﴾ صدق الله العظيم.

﴿إينَاسْ ذْنَتْسَا أَيْذَقْلِّيذْ يِيوَانْ، ذْنَتْسَا أَيْكْمَقْصُوذَانْ، غَرْكْ يَاكْ أَيْنْــذَعُو تِيرْنِي، أُورِيْسَعِي وِينْ ثِيدْ يُورْوَانْ، نَاغْ ثِينْ زْدِيتْسَارْوَانْ أُورِيَــسْعِي دَارْيَــا أَمْنَكْنِي، أُولاَشْ وِينِ سِيزَامْرَانْ نَاغْ وِينْ ثِيمُوثْلاَنْ، أَمْنَتْسَا حَدُّورِيْلِي﴾

تِيذْتْسِي دْيْنَّ رْبِّ، تِّيذْتْسِي دْيْنَّأ ذْغُولِيسْ

نذكر أيضا ترجمته لسورة الفيل:

﴿إيقْلاَّ أُوثْزْرِيضَرَا نغُو ثَعْلِيمَظْرَا سْــوَايْنْ يْــضْرَانِ صْــحَابْ الفِيــلْ بْغَانَذْهُدَّنْ الكَعْبَة، رَبُّثْنْيْجَّارا إقْلْبَسْنْ أَجْنُوِي ذْكْغِيلْ، إيفْكَادْ لْطْيُــورْ سْــلْكْثْرَا ذَاحْرْبِي سْيَزْرَا، أَكِّينْجُو رَبِّ أَكَّقِيل، اغْلِينْ أَمْثْذْلاَ لْقَاعَا، يْرَّاثْنْ مْــرَّا أَمَّلِــيمْ يْتِشَى لْمَالُهْزِيلْ﴾

كذلك نذكر تجربة الدّكتور كمال نايت زراد الّذي ألّف كتاب:

Lexique religieux berbères et néologie: un essai de traduction partielle du coran يتناول فيه الدّراسات القرآنية في إطار قواعد اللّغة المازيغية، وفي الجزء الأخير من هذا الكتاب يقترح

محاولته في ترجمة القرآن الكريم (جزء تبارك) إلى المازيغية، والّتي مزج فيها الألفاظ المازيغية القديمة والحديثة رغبة منه في إحياء التّراث المازيغي ومن ذلك نذكر:

﴿لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشّتاء والصّيف، فليعبدوا ربّ هذا البيت الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾

S yisem n Yakuc amellay amnaha
1.I wemtawa n Qurayc
2.Amtawa- nsen ef usikel n tegrest d unebdu
3.Ad muden ihi mass n wexxam- a
4.I sen-yekksen laz, ihureb fell-asen di tugdi.(8)

وظّف الكاتب في ترجمته هذه ألفاظا يصعب على القارئ فهمها وإدراك معانيها دلالاتها، كما قام بترجمة بعض الألفاظ الّتي لا يجب ترجمتها كلفظة(اللّه) ⟵ (Yakuc).

نلاحظ في النّماذج الثّلاثة الّتي قدّمناها في إطار المحاولات السّاعية لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة المازيغية في الجزائر أنّها ترجمات حرفية مباشرة لم تصل بعد إلى الهدف المنشود في إيصال معاني القرآن الكريم إلى سكّان منطقة القبائل وذلك باعتبارها جهودا فردية حاول أصحابها أن يساهموا ولو بالقدر القليل في خدمة الإسلام والمسلمين في منطقة القبائل خصوصا وأنّ اللّغة المازيغية لا يمكنها أن تفي بالغرض باعتبارها لغة شفاهية مشكّلة من لهجات مشتّتة هنا وهناك، لذلك نقترح ولإنجاح مشروع كهذا تشكيل لجنة متعدّدة الاختصاصات تقوم لا بترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية مباشرة بل بترجمة معانيه ودلالاته، فذلك لن يكون مسيئا لأحكامه وقواعده الفقهية والتّشريعية إذا كانت التّرجمة مضبوطة ومنظّمة ودقيقة لا تحتمل التّحريف

كذلك استنادا لرأي أستاذنا الفاضل الدّكتور صالح بلعيد فإنّ قضية تعليم اللّغة العربية أضحى ضرورة ملحّة لفهم القرآن الكريم فهما صحيحا.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أشكر أستاذي الفاضل الدّكتور صالح بلعيد الّذي أتاح لنا هذه الفرصة الّتي فتحت لنا الباب على مصراعيه للبحث في قضية نقل معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأخرى بما فيها اللّغة المازيغية ما يسمح لنا بالغوص في دلالاته ومعانيه ومواطن الإعجاز فيه.

الهوامش

---

(1)– صالح بلعيد: (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) الجزائر2010، دار هومة، ص224.

(2)– صالح بلعيد: (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص236– 23.

(3)– اِعتمدنا في دراستنا هذه على قرص مضغوط استلمناه في العم الماضي2010 من عند سي الحاج الطيب، يحوي عمله كاملا.

(4) - جار اللّه أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض بمشاركة فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ج1، مكتبة العبيكات، الرّياض، المملكة العربية السّعودية، **1418هـــ– 1998م، ص278– 285.**

(5) – الزّمخشري: الكشّاف، ص 481– 483.

(6) – نفسه، ج6، ص355.

(7) – هو من مواليد"، 11 نوفمبر 1931 ببلاد القبائل، انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الاستدمار الفرنسي، وبعد الاستقلال التحق بسلك التّعليم إلى أن أُحيل إلى التّقاعد فتفرّغ لمشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغة المازيغية لكنّ وفي 26 جانفي 2006 وافته المنية فلم يستطع استكماله.

(8) – Kamal Nayt- Zerrad: Lexique religieux berbères et néologie: un essai de traduction partielle du coran, Studio Camito- Semitici, Milano, 1998, p317.

في قضايا التراث العربيّ الإسلاميّ
قراءة من خلال كتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) لصالح بلعيد

فرحات بلولي
المركز الجامعي بالبويرة

مقدمة: تُعد اللغة العربيّة من بين اللغات العالميّة التي تمتلك تراثاً ضخماً منتشراً عبر كلّ أنحاء العالم، يُحتفي بها أيما احتفاء في الكثير من العواصم من اسطنبول إلى نيويورك مرورا بباريس ولندن... فلا تخلوا مكتبة من المكتبات العالميّة من المخطوطات النفيسة لمفكري الحضارة العربيّة الإسلاميّة وهذا ما يدل على أهمية تلك الآثار، وفي هذا السياق، شغل ولازال يشغل هذا التراث الكثير من المهتمين والمتخصصين في اللغة العربيّة وكلّ التخصصات المجاورة لها، ومن بينهم اللغويّ صالح بلعيد الذي كرس الكثير من أعماله العلميّة لهذا التراث، آخرها ما ورد في كتابه الصادر السنة الماضية (2010م) بعنوان: (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) الذي يمثل موضوع بحثنا، فكيف عالج قضايا التراث العربيّ الإسلاميّ في هذا الكتاب؟

1: تقديم مواد كتاب: يطرح كتاب "... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم" جملة من القضايا التي حمل المؤلف ولا يزال يحمل همها والتي انتبه إليها من خلال مسيرته العلميّة الطويلة، وقد جاء ذلك من خلال ستّة مقالات مستقلة طوبوغرافيا عن بعضها البعض، وهي على التوالي:

01- اللغة العربيّة والإرادة السياسيّة (من أجل تمكين اللغة العربيّة في جميع المجالات).

02- الحقوق اللغويّة للطفل الجزائريّ.

03- علاقة البربر (الأمازيغ بالعرب شواهد الامتزاج والحياة المشتركة).

04- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغيّة.

05- الحركة اللغويّة في المغرب الإسلاميّ الوسيط.

06- العمل العربيّ الموسوعيّ (من القرن السابع إلى الثاني عشر الهجريّ).

غير أنّ هذه المقالات ليست حشدا فقط للمعلومات في مواضيع متفرقة بل هي مترابطة متراصة ومتّصلة بموضوع واحد ألا وهو حال العربيّة قديماً وحديثا، ويُحدثنا المؤلِف نفسه عن ذلك في مقدمة كتابه هذا، فيقول:"... وإذا أمعنت النظر فسوف تكشف ذلك بنفسك، حيث إنّ عامل اللغة العربيّة في الجديد والقديم هو الجامع والمشترك"(1) وفي موضع آخر من مقدمة الكتاب وضع جل المقالات في موضعها الحقيقي حيث يُقر أنّ المقالة الأولى والثانية تناقشان حاضر ومستقبل العربيّة في الجزائر والعالم العربيّ، أما المقالتيْن الثالثة والرابعة، فتناقشان علاقة اللغة العربيّة باللغة الأمازيغيّة لغة أهل شمال إفريقيا، وأفرد المقالتيْن الأخيرتيْن لقراءة التراث العلميّ الإسلاميّ المكتوب باللغة العربيّة وهو موضوع بحثنا، وقبل البدء في دراستنا بالمفهوم العميق سنحاول تبعا تقديم نظرة عن مواضيع المقالات الأربعة الأولى من هذا الكتاب لكي نتفرغ في القسم الثاني من البحث إلى المقالتيْن المتبقيتيْن.

1.1: تقديم المقالات المتعلقة بالسياسة اللغويّة:

1.1.1: اللغة العربيّة والإرادة السياسية (من أجل تمكين اللغة العربيّة في جميع المجالات) تتناول هذه المقالة واحدة من بين القضايا المطروحة بحدة في العالم العربيّ –بل حتى في كلّ بلدان العالم الثالث خاصة منها

المتحررة في القرن الماضي فقط- وهي المكانة الحقيقية للغات الوطنيّة في بلدانها فاللغة العربيّة في البلدان العربيّة هي اللغة الرسميّة والوطنيّة لكن الواقع يثبت بما لا يدع الشك يرتابه أنّ اللغات الأجنبيّة تزاحمها بشكل جلي إضافة إلى وجود اللغات المحليّة التي تبحث لنفسها على مكانة أيضا، وفي هذا السياق يرى اللغويّ صالح بلعيد أنّ المسألة اللغويّة في البلدان العربيّة تحتاج إلى تشريح فما هو تحليله للوضعيّة؟

انطلق تحليل المؤلِف من رصد مكانة اللغات الوطنيّة والرسميّة في البلدان الأجنبيّة سواء منها المتحضرة كفرنسا وإسبانيا.... أو الناميّة ككوريا وباكستان... ثم انتقل إلى وصف حال اللغة العربيّة في العالم العربيّ حيث إنّ اللغة الفرنسيّة تنافس بشدة العربيّة بالمغرب الكبير، والحال نفسه تعيشه العربيّة في المشرق، لكن بفارق بسيط، وهو تواجد الانجليزيّة مكان الفرنسيّة وفي مرحلة أخرى، حاول اللغويّ صالح بلعيد وصف الآراء والمواقف المستسلمة التي اتّخذتها المجتمعات العربيّة من لغتها وانهزامها أمام الأمر الواقع، ومن هنا انطلق في استنهاض الهمم، فعبّر عن موقفه الرافض للأمر الواقع الذي يقول بأن العربيّة لا تصلح لأن تكون لغة علم وأنّها لغة دين فقط... فوجه نداءه بداية إلى النخب للاهتمام بقضايا اللغة العربيّة حيث يقول "نروم من النخبة العربيّة العودة إلى معالجة الأمور اللغويّة لا إلى هجران اللغة العربيّة"[(2)] كما ناقش مسألة سُبل تمكين العربيّة في فرض نفسها نهائيا في الاستعمال، فاقترح تعزيز فكرة الانتماء إلى الفضاء العربيّ الإسلاميّ وضرورة ملاحقة المستجدات، وكذا تشجيع الترجمة إلى اللغة العربيّة، وهذا لن يكون إلا بالقرار السياسيّ الذي يجب أن يتخذه أولوا الأمر، كما يجب أن تُطبقه كلّ الهيئات الحكوميّة التابعة للدولة، وفي الأخير، ركز المؤلِف على

ضرورة التفاؤل بمستقبل اللغة العربيّة خاصة في بعض البلدان كسوريا والسودان...

2.1.1: الحقوق اللغويّة للطفل الجزائريّ: يقلب صاحب الكتاب في هذه المقالة المسألة اللغويّة في العالم العربيّ على وجهها المتعلق بتعليم/ تعلم الأطفال، فيبدأ النقاش العلميّ بالحديث عن المواثيق الدوليّة التي تدافع عن حقوق الأطفال، ويركز على الحقوق اللغويّة التي تمثل محور موضوعه فيرى أنّ هناك جهوداً في سبيل ترقية مكانة الطفل في المنطقة العربيّة ولكنّها لا ترقى إلى ما هو منشود، وفي إطار هذا التقديم، يشير اللغويّ صالح بلعيد إلى أنّ المقالة موجهة خصيصا للحديث عن سُبل إحلال العربيّة الفصحى محلها ضمن منظومة اللغات في الجزائر.

وفي إطار الإجابة عن الإشكالية، بدأ تحليله بوصف الواقع اللغويّ الجزائريّ والعالميّ، وذلك بتشريح الاستعمالات اللغويّة التي قد تؤثر على الطفل الجزائريّ، فوصف السجلات اللغويّة التي تؤثر عليه، وتعرض في نقطة ثانية من التحليل إلى متطلبات تأسيس لغة الطفل العربيّ والجزائريّ، فحصرها في ثلاث نقاط أساسية هي: التخطيط اللغويّ السليم الذي يأخذ بعين الاعتبار ترتيب اللغات حسب المتتالية التالية: لغة الأم (La langue de la mère) في المقام الأول ثم اللغة الأم (La langue mère) ويقصد بها اللغة الرسميّة في المقام الثاني وتأتي اللغات الأجنبيّة في المركز الأخير[3]، أما النقطة الثانية، فهي اعتماد سياسة لغويّة رشيدة[4] حيث إنّ العربيّة بتراثها العريق يمكن أن تكون أحسن حل للمعضلة اللغويّة في الجزائر ويؤكد في النقطة الثالثة على ضرورة إصلاح المنظومة التربويّة بكلّ عناصرها (معلم، كتب، برامج...) لأنّ المدرسة لها تأثير كبير على لغة الطفل. واستمراراً في تحليل لغة الطفل الجزائريّ، أكد اللغويّ صالح بلعيد

ضرورة توفير مناخ لغويّ صاف حيث يجب أن يتفادى المحيط الأسريّ والقائمين على روضات الأطفال التخاطب بالهجين اللغويّ، وتعليم الأطفال لغة واضحة صافية حيث يقول:" إنّي أرى أنّ الذي يهم في هذه السن (سن ارتياد الروضة) هو أن نجعل الطفل في حمام لغويّ يتكلم أية لغة بكلام صحيح، ويطرح الهجين اللغويّ الذي يشوه الاتصال..."[5] فمن حقوق الطفل أن يتعلّم اللغات الصافيّة والنقية من كلّ غريب[6]. وفي طريق تحقيق ما سلف ذكره اقترح اللغويّ صالح بلعيد لأصحاب القرار بعض المبادئ التي لا يجب الخروج عنها في أيّة ورقة تهدف إلى حماية حقوق الطفل اللغويّة، ومن أهم هذه المبادئ ترتيب اللغات حسب مكانتها الرسميّة والوطنيّة والأجنبيّة والإيمان العميق بأهمية اللغة الأم (الرسميّة) وبالتالي يجب أن تهيمن على كلّ المجالات الحياتيّة، وفي سبيل تحقيق ذلك يجب أن تتضافر جهود الجميع مع التركيز على أهمية الإعلام في ذلك، كما يجب استصدار القرار السياسيّ ومتابعة تطبيقه ميدانيا والإغداق الماليّ على القائمين على عملية التطبيق.

وكخاتمة للعمل يشير اللغويّ إلى أنّ الطفل الجزائريّ له الحق في الاحتفاظ بلغة الأم (عامية/ أمازيغيّة) كلغة للاستعمال اليوميّ، أمّا اللغة الأم (الفصحى) فيبحث فيها وبها.

2.1: تقديم المقالات المتعلقة بالمسألة الأمازيغيّة:

1.2.1:علاقة البربر(الأمازيغ بالعرب شواهد الامتزاج والحياة المشتركة):

تصف لنا هذه المقالة في مجملها موقف صاحب الكتاب من الواقع اللغويّ الجزائريّ خاصة في جزءه المتعلق بعلاقة اللغة العربيّة باللغة الأمازيغيّة ويبرر لنا الحديث عن هذا الموضوع بمحاولة الرد على بعض الآراء التي تحاول إعادة النظر في مفهوم الهويّة اللغويّة بما يتعارض مع أفكاره.

يبدأ اللغويّ صالح بلعيد مقالته بالحديث عن الهويّة اللغويّة، فيُعرف الكلمتين، ثم يُعرف المصطلح، وأثناء ذلك تتبيّن رؤيته للموضوع حيث يرى أنّ المحددات الجوهريّة للهويّة اللغويّة الجزائريّة بل والمغاربيّة يمكن استلهامها من التاريخ الطويل الذي عاشه أبناء المنطقة، وليس من اللغة والجغرافيا فقط، فالهوية اللغويّة عنده مرتبطة أيما ارتباط بالإسلام بل كان لها حاميا حيث يقول:" فنرى أنّ جاذبية الإسلام أدت إلى انتشار العربيّة حبا فيها وفي إسلامها، وتساكنت مع الأمازيغيّة دون أن تقوم بتدميرها..."[7] وهذا ما يؤكد أنّ الإسلام هو حجر الزاوية في تحديد الهويّة الجزائريّة برمتها. وفي إطار تحليل هذا الموقف، خصص صاحب الكتاب حيزا من المقالة لتحديد مفهومه الخاص للغة الأمازيغيّة والجهات الناطقة بها والحرف الذي يستعمل في تدوينها... ثم تطرق في نقطة أخرى إلى تاريخ دخول واندماج العربيّة في منطقة الشمال الإفريقيّ، وحاول في مرحلة أخرى من التحليل (خصص لها نقطتين الأولى عنوانها: الصراع، أما الثانية فعنونها: التكامل) التأكيد على أنّ الأمازيغ والعرب لم يتصارعوا أبدا على اللغة أثناء الفتوحات بل كانت الصراعات متعلقة بالحكم والسيادة فقط، لأنّ الذين نشروا العربيّة في المغرب الكبير هم الأمازيغ نفسهم بعدما اعتنقوا الإسلام، وبعد ما استوت لهم أمور الحكم والسياسة، فكلّ الدول الإسلاميّة الموجودة في المنطقة والتي كان يحكمها أمازيغ مثل الحفصيين والأدارسة والفاطميين... اعتمدوا اللغة العربيّة لغة رسميّة، وأحلوا الأمازيغيّة منزلة اللغة الوظيفيّة، فكان هذا اختيار الأجداد وما على المدرسة والجمعيات والأسرة إلا الدفاع عنه كما يرى اللغويّ صالح بلعيد. وفي خاتمة المقال لخص اللغويّ المذكور المسألة في أنّ الهويّة اللغويّة الجزائريّة لا يمكن تصورها إلا في إطار الحضارة

العربيّة الإسلاميّة الشرقيّة لا الغربيّة، فالجزائريون بربر/ أمازيغ، وهم شعب مغاربيّ عربيّ إسلاميّ إفريقيّ.

2.2.1: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغيّة: يعترف اللغويّ صالح بلعيد في بداية هذه المقالة أنّ الموضوع الذي سيطرقه في هذه المقالة موضوع سودت فيه أوراق كثيرة من قبله لكن من جانب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغيّة، فالموضوع مازال جديدا ولم ينل ما يستحقه من التنظير والتمحيص.

وتتناول هذه المقالة بشكل عام مسألة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى خاصة منها الأمازيغيّة، ففي البداية قدم لنا اللغويّ صالح بلعيد أهم المبررات الداعية لترجمة القرآن الكريم وهي أساسا نشر الدين الإسلاميّ لغير العرب، وفي نقطة أخرى من المقالة، قدم لنا تاريخا موجزا عن أهم ترجمات القرآن الكريم التي ظهرت في العالم، وركز حديثه على جهود المستشرقين كبلاشير وبروكلمان وغيرهم مع تقييمه لأعمالهم وذلك بالرفع من مكانة علمهم وعملهم في موقع الإشادة وتبيان النقائص في المواضع التي تتطلب ذلك، وتعرض المؤلِف –في نقطة أخرى– إلى تباين أراء المسلمين في مسألة جواز ترجمة القرآن الكريم حيث انقسموا إلى مُعارض ومُساند لذلك غير أنّ الأمر قد استقر في العصر الحديث على جواز ترجمته، ولكن بشروط وقواعد صارمة احتراما للنص المقدس وليس تضييقا على المترجم.

وتحدث اللغويّ صالح بلعيد، في حيز أخير، عن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغيّة، فركّز كلامه على تحليل جهد المترجميْن جهادي الحسين البوعمراني وهو أحد العلماء المغاربة الذين تبنوا مشروع تمزيغ الفكر الإسلاميّ حيث ترجم القرآن الكريم إلى اللهجة السوسية سنة 2004، وكانت ترجمته تقريبية وفيها الكثير من الاقتراضات اللغويّة من العربيّة واعتمد على

رواية ورش... أما في الجزائر، فذكر لنا محاولة سي الحاج محند الطيب الذي ترجم القرآن الكريم إلى اللهجة القبائليّة سنة 2008 ويذكر اللغويّ صاحب الكتاب أنّه بلغ إليه خبر بطبع الترجمة في مجمع الملك فهد لطباعة القرآن[8].

وفي خاتمة هذه المقالة قدم اللغويّ صالح بلعيد رأيه النهائيّ في مسألة ترجمة معاني القرآن الكريم حيث يقول:"... فيجب الوعي بأن الترجمة بصفة عامة ضرورة ولها منافع، ولكن بالنسبة لترجمة معاني القرآن الكريم فمنافعها محدودة جدا باعتبار الموضوع نال نصيبا منها، والترجمة فيه ليس من الأولويات..."[9] لذلك نجده يقترح أن تترجم بعض الآيات المنتخبة والتي تُعنى بأهم المسائل الدينيّة وهذا لتسهيل فهم الدين لغير العرب، أما الشخص الأجنبيّ الذي يريد التعمق في فهم القرآن الكريم فما عليه إلاّ التعرُب.

2: آراء اللغويّ صالح بلعيد في التراث العربيّ الإسلاميّ وقضاياه:

كما سلف أن ذكرنا خصص المؤلِف مقالتيْن في كتابه الذي نحن بصدد دراسته لتقديم بعض آراءه حول التراث العربيّ الإسلاميّ، ومن خلالهما سنحاول أن نستخلص نظرة المؤلِف إلى هذا التراث وقضاياه.

1.2: تقديم مقالتي الكتاب المتعلقة بالتراث العربيّ الإسلاميّ:

1.1.2: المقالة الأولى: تندرج هذه المقالة في إطار مساهمة اللغويّ صالح بلعيد في الملتقى الذي نظمه مخبر الدراسات اللغويّة المغاربيّة التابع إداريا لجامعة وهران، والذي انعقد أيام 28/27/26 أكتوبر2009، ولقد عنونها "الحركة اللغويّة في المغرب الإسلاميّ الوسيط"، ويقصد بهذا العنوان أنّه سيناقش ما جادت به قريحة علماء اللغة في منطقة المغرب الكبير بمفهومه الجغرافي الحديث، ولقد حدد الفترة الزمنيّة التي سيدرسها بعصر الأنوار كما لقبه، أي الذي يمتد بين دخول الإسلام وقيام دولة الأدارسة إلى تَفتُت المنطقة إلى دويلات مثل الدولة المرينيّة والزيانيّة...

وقسم اللغويّ مقالته إلى أربعة فروع، حدد في الأول منها الخطوط العريضة لموضوعه بتحديد مصطلحات العنوان والخطوات التي سيتبعها في هذا البحث والأهداف المتوخاة من وراء هذا العمل، وتطرق في فرع ثان إلى مظاهر الحركة اللغويّة في منطقة المغرب الإسلاميّ الوسيط، فذكر أعمال علمائها محددا مساهمة كلّ دولة من الدول المتعاقبة على تسير دواليب الحكم في المنطقة في ترقية العلوم بشكل عام واللغويّة بشكل خاص، فكان للأدارسة (172هـ) وللأغالبة (184هـ) السبق في الاهتمام والتأسيس لكن دون التخلص من عباءة التبعيّة الكليّة للمشرق، أما الفاطميّون (297 هـ) والمرابطون (472هـ) فعصرهم عصر إبداع وتألق في العلوم اللغويّة وعرف عصر الموحدين (541هـ) توحيد البحث في المغرب الإسلاميّ ولكن بعد ذلك عرفت الحركة اللغويّة تراجعا مع المرينيين (667هـ) والزيانيين (668هـ)... ويستنتج الباحث أنّ المغاربة استطاعوا أن يحققوا الاكتفاء الذاتيّ في الميدان اللغويّ، ويظهر ذلك في العدد الهائل من المؤلفات التي أنتجها أبناء هذه المنطقة والجيل، وفي آخر هذا الفرع عاد المؤلف إلى الحديث عن مظاهر وجود الحركة اللغويّة والثقافيّة، فحددها في انتشار الكتاتيب والزوايا والمساجد في كلّ أصقاع البلاد، إضافة إلى تأسيس المكتبات أو ما يسمى بالخزانات العامة، وتأليف الكتب إلى حد الاكتفاء الذاتيّ- كما أشرنا-.

وفي بعد هذا التعداد، ناقش اللغويّ صالح بلعيد فرضية وجود مدرسة نحويّة مغربيّة من عدمها، وبعد مد جزر وقلب لكلّ أوجه المسألة، خلص إلى أنّ هذه المدرسة لم يُكتب لها الوجود، فيقول:" إنّ غياب الدراسات التي تبحث في ما قدمه العلماء المغاربة للنحو العربيّ كاف بأن نقول لم تكن هناك مدرسة نحوية مغاربيّة بمعنى ليس هناك نحو مغاربيّ، ولا منهج ولا طريقة وكلّ الاجتهادات تابعة للمدارس النحويّة المشرقيّة"[10] ورغم ذلك يُقر الباحث

في بعض المواضع أنّ المغاربة لديهم اجتهاداتهم الخاصة، وربما أبرزها تأسيس ما يسمى بالنحو التعليميّ، وذلك بوضع الملخّصات والأراجيز لتيسير تعليم النّحو واللغة العربيّة.

وتطرق في فرع ثالث إلى الحديث عن أهم المراكز الحضاريّة التي ازدهر فيها البحث اللغويّ، فذكر الكثير منها مثل: فاس وشنقيط وبجاية والقيروان... وختم هذه المقالة بالتركيز على المستقبل ودور منطقة المغرب الكبير في ترقية الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فتحدث على كلّ المشاريع التي تجد منطلقها في هذه المنطقة مثل مشروع الذخيرة اللغويّة... وذلك العدد الكبير من الهيئات العربيّة الجامعة الموجودة في المنطقة وخاصة في المغرب والجزائر على غرار المعهد العالي للترجمة بالجزائر...

2.1.2: المقالة الثانية: قدم اللغويّ صالح بلعيد هذه المقالة الموسومة "العمل العربيّ الموسوعيّ (من القرن السابع إلى الثانيّ عشر الهجريّ)" –قبل نشرها في هذا الكتاب– كمداخلة في الملتقى المنعقد أيام 28/26 مارس 2003 والذي نظمه المجلس الأعلى الإسلاميّ حول موضوع: "الإسلام والعلوم العقلية في الماضي والحاضر"، ولقد عَرض فيها جانبا من آراءه حول قضايا التراث العربيّ الإسلاميّ ليس فقط المغاربيّ كما هو الحال في المقالة السابقة بل العربيّ ككلّ، وذلك بالتركيز على العمل الموسوعيّ لأهميته.

بدأ في تحليل الموضوع بما سماه التأليف الموسوعيّ المختلط، فيرى أنّ بداية التأليف بأتمّ معنى الكلمة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة كانت بالرسائل اللغويّة التي تتخصص عادة في موضوع ما كالخيل والنبات وما إلى ذلك من الموجودات، ثم جاء التأليف فيما يسمى بالطبقات التي تعتبر نوعا من أنواع التأليف الموسوعي. وحدد – في فرع ثان– الفترة الزمنيّة التي يريد دراستها ألا وهي ما بين القرن السابع الهجريّ والثاني عشر، وهي

التي تسمى بعصر الضعف رغم أنّ اللغويّ صالح بلعيد يعارض ذلك فتحدث بشكل عام عن أسبقية العرب في مجال التأليف المعجميّ وامتلاك موروثهم العلميّ على منهجيّة راقية في العمل.

وعرج في فرع ثالث إلى تحليل منتوج الطبقات والمعاجم والموسوعات محددا في البداية معنى هذه المصطلحات، فاعتبر "المعجم" جمعا ودراسة لمفردات ومعاني اللغة، أما "الطبقة" فهي بمعنى "المنزلة"، ولقد ظهر هذا النوع من التأليف بداية في الدراسات الفقهيّة ثم انتقل إلى النّحو فكُتبت الكثير من كتب طبقات النحاة واللغويين بشكل عام، في حين أنّ "الموسوعة" مصطلح حديث في نظر اللغويّ صالح بلعيد، ويَعني به تلك الأعمال التي تهتم بتعريف الأشياء لا الكلمات، فتُحدد عادة مجموعة من المواضيع ثم تقدم في متونها كلّ ما له صلة بتلك المواضيع، ويقول المؤلِف في التراث العربيّ: "إن التأليف عند العرب قديما حصل في فن الطبقات والمعاجم بقوة... بينما الموسوعة من منتجات العصر الحاضر وهي أشمل باعتبارها ذاكرة الأمة"[11] ويضيف إنّ استعمال المصطلحات السابقة لم يكن مستقرا كما يمكن أن يتخيل البعض، بل كانت الاستعمالات متذبذبة حيث يصنف "يتيمة الدهر" للثعالبي كمعجم طبقي، كما أنّه هناك من يصنف الكثير من المؤلفات العربيّة العظيمة على أنّها من الموسوعات. وفي تحليله لتلك الأعمال الجليلة، يرى اللغويّ صالح بلعيد أنّها شاهدة على تلك العصور وما وصل إليه الفكر العربيّ الإسلاميّ، لذلك يجب الحفاظ على هذا المنتوج الزاخر بالمعارف، وقد ركّز على مدارس الترتيب في المعاجم، وعرض علينا مجموعة من الأمثلة على مناهج تبويب المعاجم العربيّة مثل معجم العين للخليل بن أحمد الفراهدي (175 هـ)... ثم في فرع أخير، درس صاحب الكتاب بشكل مستفيض قائمة من المعاجم والأعمال التراثيّة مثل معجم البلدان لياقوت الحموي (626 هـ)

وفيات الأعيان لابن خلكان (681 هـ) لسان العرب لابن منظور (711هـ)... وحدد باختصار شديد أهم خصائص تلك المؤلفات الموسوعيّة التي تختزن أغلب ثقافة العرب والمسلمين في تلك الفترة، مركزا على علميتها واستدراكاتها المهمة على ما كان سائدا قبلها وإضافاتها الجليلة للعلم، وهو ما يدخل في صميم نظرة اللغويّ صالح بلعيد للتراث العربيّ الإسلاميّ والتي سنحللها بشكل أعمق في النقطة الموالية.

2.2: أهم اتجاهات اللغويّ صالح بلعيد في قضايا التراث العربيّ الإسلاميّ: نستشف من خلال المقالتيْن السالفتيْن أنّ صاحب المؤلَف يركّز في طَرقه لمسائل التراث العربيّ الإسلاميّ على العديد من المحاور نُجملها في النقاط التالية:

1.2.2: استنهاض همم الخلف للاهتمام بتراث السلف: بعد استقراء المقالتيْن المذكورتيْن لاحظنا أنّ مؤلِفهما يركّز كثيرا في طرحه لمسائل التراث العربيّ الإسلاميّ على عدم اهتمام الخلف بما فيه الكفاية بتراثهم، إذ لابد أن يشرحوه ويشبعوه بحثا أكثر مما هو الحال عليه الآن، فيقول في المقالة الأولى*: " إنّ المتأمل في هذه الطليعة (يقصد علماء المغرب القدامى) يرى تبصرها في علوم الدين واللغة والتاريخ والرياضيات والفلسفة، ونحن عن نشر أفكارها متقاعدون وعن البحث في فضل أسلافنا متغافلون وعن الإضافة لعلمهم متكاسلون"[(12)] أي أنّ الباحثين العرب، في عصرنا الحالي، لم يقدموا بحوثا كثيرة في تراث علماء المغرب الإسلاميّ الوسيط رغم غزارة ما تركوه فيتبيّن من خلال هذا الاقتباس أنّ صاحب الكتاب غير راض عن وضعية البحث في هذا المجال، مما يعني بمفهوم المخالفة أنّه يجب القيام بذلك.

ويظهر عدم رضا اللغويّ صالح بلعيد من وضعية البحث العلميّ المهتم بالتراث العربيّ الإسلاميّ بشكل أكثر صراحة في المقالة الثانية حيث

يقول:"... ولا أبالغ إذا قلت: نحن قصّرنا عن الواجب، فلم يكن الخلف في مستوى السلف، فأنّى لنا أن نعجز في هذا الزمان الذي جادت به الآلات عن انجاز المعاجم والطبقات والموسوعات، ونملك الأدوات، وما شح مال ولا استحال الحال وكان سلفنا ينجزونها فرادى وآحاد..."[13] فإن كان علماء العربيّة في القرون الغابرة قد أنجزوا الموسوعات بأوضاعهم التي تفتقر لأدنى شروط البحث بمفهومنا المعاصر، فلماذا لا يمكن أن تُؤلَف الموسوعات الراقية وأحوال الباحثين ميسورة الآن؟ هذا هو طريق استنهاض الهمم الذي يهزّ به اللغويّ صالح بلعيد قراءه، ويحاول دائما أن يطرحه في أي تحليل لقضايا التراث العربيّ الإسلاميّ.

2.2.2: التأكيد على الطابع العلميّ للدراسات التراثيّة: ممّا لاشك فيه أنّ أكبر تحد يجابهه التراث العربيّ الإسلاميّ هو تحقيق شرعية العودة إلى مكنوناته، وهذا لن يتأتى له إلا بتبيان أهميته بالنسبة للبحث العلميّ الحديث ولعل أهم عنصر قد يجذب الأنظار إليه في طرح اللغويّ صالح بلعيد هو إصراره على أنّ التراث الفكريّ العربيّ الإسلاميّ تراث علميّ في منطلقاته ومناهجه، فيقول في اجتهادات الحركة اللغويّة في المغرب الإسلاميّ الوسيط: " كانت بدايتها من ميدان التربيّة والتعليم قوية باعتبار التعليم المدخل لكلّ العلوم، فتراهم يركزون بالجمع بين الاهتمام بالهياكل التعليميّة من مساجد وكتاتيب وأربطة، إلى الأمور التي لها علاقة بالمعلم، باعتباره العمود الفقريّ للعمليّة التربويّة، فجعلوا له شروطا وواجبات وحقوقا، كما اهتموا بالمنهج الذي يدرس به..."[14] ويدل هذا الاقتباس في مضامينه على أنّ علماء المغرب الذين تصدوا لدراسة الميدان التعليميّ كانوا على منهج ما، أقل ما يقال عنه أنّه منهج علميّ لأنّه يتوافق تماما مع النظريات الحديثة التي تُميّز بين المعلم والمتعلم والهياكل التعليميّة وما إلى ذلك.

ويذهب اللغويّ صالح بلعيد بعيدا في إضفاء العلميّة على التراث العربيّ الإسلاميّ عندما يقول في المقالة الثانية[15]:" وهذه الأعمال الموسوعيّة لاشك أنّها كانت صورة ذهنيّة افتراضيّة وتحولت إلى عقليّة علميّة، ثم إلى إجرائيّة، وتجسدت في خطاطة ورقيّة. وجاءتنا هذه المتون الموسوعيّة وهي تحمل الخطاب العلميّ..."[16] وفي هذا الاقتباس الحرفيّ يُسقط صاحب الكتاب أيّه شرعيّة للتهجم على التراث العربيّ الإسلاميّ أو أيّة محاولة لتركه بسبب شائبة في علميته أو لعدم توفره على منهجيّة في وضع أطروحاته.

3.2.2: التأكيد على وجود إضافات في الأعمال التراثيّة: قد يعتقد الكثير أنّ تلك الأسفار المعروفة في التراث العربيّ الإسلاميّ ما هي إلاّ كلام مكرور ولإثبات خطأ هذه المقولة، تجد اللغويّ صالح بلعيد يؤكد مرارا على الإضافات التي قدمتها كتب التراث، إما مقارنة بما سبقها، أو مقارنة بما هو موجود في زمانها أو بتبيين مساهمتها في التراث الإنسانيّ بشكل عام، ففي المقالة الأولى، يَذكر بصريح العبارة عدد من إضافات علماء المغرب الإسلامي الوسيط، فيركّز على تميُّزهم بوضع المنظومات النحويّة، وبالتالي تأسيس ما يسمى بالنحو التربويّ، إضافة إلى تقديم أولى دعاوي التيسير النحويّ على يد ابن مضاء والنظريّة الظاهريّة فتفردوا بها[17] كما نجده يتحدث في المقالة الثانيّة –التي نحن بصدد تحليلها– عن السبق الهام الذي تميّز ولا يزال يتميّز به التراث العربيّ الإسلاميّ ألا وهو تأسيس العمل المعجميّ بشكل فريد لم تعرفه الحضارات والأمم من قبلهم، وهو وجود الكثير من مدارس ترتيب المواد المعجميّة في المعاجم والقواميس[18].

4.2.2: التأكيد على انتفاع غير العرب بهذا التراث العربيّ الإسلاميّ: إكبارا بالتراث العربيّ الإسلاميّ، يشير مرارا اللغويّ صالح بلعيد إلى

استفادة الشعوب الأخرى[19] من التراث العربيّ الإسلاميّ مما يرفع من قيمة هذا الموروث، ويستدعي الوقوف عنده فيقول عن الدولة الموحدية (541 هـ): "فقد أشاعت البحث اللغويّ في كلّ أنحاء المغرب العربيّ، وأصبحت مرجعيّة عربيّة وأوربيّة، فاستقطب النشاط اللغويّ في زمانها أقطاب الأندلس ومصر وكانت محجا لكبار العلماء، وشكل ذلك حلقة تواصليّة بين المشرق والمغرب والأندلس وأوربا..."[20] وهذا ما يبيّن في الحقيقة مدى رقي المستوى الفكريّ للمغاربة ومدى مساهمتهم في الحضارة الإنسانيّة، كما يبيّن أيضا وضع اللغويّ صالح بلعيد التراث العربيّ الإسلاميّ المغاربيّ في مقامه الذي يليق به، ولقد صرح في موضع آخر بأنّه في صدد الردّ على من يشكّكون في أهمية التراث العربيّ حيث يقول:"... كان عليّ تبيان الصواب ورد الجواب على من أراد الإنكار لفعل الأجداد، والتوبيخ لمن أنكر التاريخ فالعرب لهم المقام وينشدونهم الأقوام..."[21] أي أنّ للعرب في تراثهم مفخرة وعلى الشعوب مزية لأنّهم كانوا السبّاقين إلى الكثير من المعارف، وحفظ التراث الإنسانيّ الموجود من قبلهم...

5.2.2: ضرورة الاعتماد على العمل الجماعيّ في إعادة إحياء التراث: وفي سبيل قراءة التراث والاستفادة منه بشكل جيد، يرى اللغويّ صالح بلعيد أنّه لابد من إتباع طريقة العمل الجماعيّ لأنّها الأنسب والأصلح لمقاربة ذلك الزخم الكبير من المؤلّفات التي وضعها الآحاد، لكن تحتاج إلى تضافر الجهود لفهمها ووضعها في منزلتها اللائقة بها، فيقول في المقالة الأولى:" ولكن لا شك أنّ الباحثين سوف يجدون الثمار الطيبة إذا تضافرت جهودهم ضمن فِرَق بحث متعددة الاختصاصات وهذه الفِرَق تحدد منهاجها وبرنامجها وفق دفتر شروط وضمن امتلاك إستراتجية يتبارى فيها المختصون"[22] وقد ألح اللغويّ صالح بلعيد على هذا الاقتراح كثيرا، فردده

الكثير من المرات سواء في المقالة الأولى أو المقالة الثانية، لأنّ المسألة مسألة تراث كبير كما وكيفا وفيه من الخطورة ما يجعل تجنيد الفِرَق والمخابر شيئا محمودا بل ومطلوبا وواجبا، وفي هذا الإطار تجده يَذكر دائما جهود الهيئات والمؤسسات العلميّة المنتشرة في العالم العربيّ كمكتب تنسيق التعريب... كما يذكر أيضا المشاريع البحثيّة التي تنتظر من يحققها في الواقع كالمعجم التاريخيّ للغة العربيّة* والذخيرة اللغويّة العربيّة...

6.2.2: استعمال التقنيات الحديثة في التعامل مع التراث: استمرارا لتنظيره لكيفية التعامل مع التراث العربيّ الإسلاميّ، يناشد اللغويّ صالح بلعيد كلّ المهتمين بالبحث في التراث العربيّ الإسلاميّ بضرورة الاهتمام بالعلوم الحديثة والاستفادة منها سواء باستثمار نظرياتها أو استعمال الوسائل التقنيّة التي أنتجتها، وذلك لتيسير التعامل مع المادة التراثيّة الضخمة فيقول:"إنّه من الضروري أن تتبارى العلوم اللغويّة مثلما تتبارى المعلوماتيّة ومن وراء ذلك يحصل الأخذ بمناهج التجديد، وإنّنا لنقف اليوم مشدوهين ومنبهرين أمام حركة العلم التطبيقي السريع والمنتج والذي يفتح آفاق التنظير والإبداع..."[(23)] وفي ذلك دعوة للإقتداء بالعلوم الحديثة في منهجيّة العمل لكي يضمن الباحث الوصول إلى نتائج علميّة مقبولة، وفي موضع آخر، وبشكل أكثر صراحة يقول: "وحري برجال الحرفة في الوقت المعاصر أن يستغلوا الأجهزة الحديثة في جمع المادة وتبويبها وتصنيفها واستغلال المادة المحوسبة ووضعها في رسومات بيانية تقرأها الآلة... ووسائل العصر تقرب المسافة وتنقص الجهد والوقت..."[(24)] فالحاسوب ثورة العصر يجب الاستفادة منه، كما تستفيد منه الأمم الأخرى لأنّ الاستفادة مما هو عالميّ أكثر من واجب للحاق بركب التطور ولما لا استعادة الريادة.

خاتمة: يتضح جليا من خلال القراءة التي قدمناها أنّ اللغويّ صالح بلعيد يولي أهمية كبيرة لإعادة إحياء التراث العربيّ الإسلاميّ، ويحاول قدر الإمكان تسخير كلّ ما تقدمه العلوم الحديثة في سبيل فهم والحفاظ على هذا التراث الزاخر بشتى أنواع المعارف، كما أنّه حريص على إيقاظ ضمائر المُحْدثين من معاصريه وطلبته وكلّ المهتمين باللغة العربيّة، فاستنهاض الهمم ولفت النظر إلى أهمية التراث العربيّ الإسلاميّ أول خطوة للدفاع عن هذا التراث والارتقاء به إلى الدرجات العليا، ففي هذا الكتاب إماطة للثام عن بعض جوانب التراث العربيّ الإسلاميّ ودعوة للغير للدفاع عنه، فهل من مستجيب؟

الهوامش

1- صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) الجزائر: 2010م، دار هومة، ص10.

2- صالح بلعيد، المرجع السابق، ص53.

3- نلاحظ أنّ هذا النموذج الذي يقترحه اللغويّ صالح بلعيد يتقاطع مع النموذج الرباعيّ للغات في زمن العولمة الذي اقترحه (لويس جان كالفي–**Louis-Jean Calvet**) لكن مع اختلاف في عدد اللغات، وهذا ما يثبت أنّ العولمة تفعل فعلتها باللغات والحل الوحيد لمواجهة الصراعات اللغويّة هو التخطيط اللغويّ الجيد، للاستزادة عن نموذج كالفي للغات في عصر العولمة. ينظر: http://ressources-cla.univ-fcomte.fr/gerflint/Chili1/Calvet.pdf

4- هذا اهتمام قديم عند المؤلِف يُنظر: صالــح بلعيــد: «الواقع اللغوي الجزائري واقتراح تخطيط لغوي لسياسة لغوية وطنية»، مداخلة ألقيت في ملتقى (اللسانيات الواقع اللغوي الجزائري) المنظم بجامعة سكيكدة، أيام: 3 و4 ماي 2009م.

5 – صالح بلعيد،(... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص143.

6- وهو ما أشار إليه الكثير من اللغويين، يُنظر ههنا كتاب:
Malika Boudlia Greffou, L'école algérienne de IBN BADIS à PAVLOV, La Phomic, Alger, 1989 التي أشارت إلى مشكلة الهجين في الروضة الجزائريّة.

7- صالح بلعيد،(... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 185.

8- يبدو أنّ عملية طبع هذه الترجمة من قبل المجمع الفقهيّ للملك فهد غير مكتملة لذلك لم تصدر لحد الآن (جانفي 2011) وهو ما أكده المترجم نفسه في الصّحافة، يُنظر: مسعودة بوطلعة: "محند

الطيب لدى استضافته ب"منبر الأفكار" (قريبا النسخة المنقحة للقرآن بالأمازيغيّة) الخبر، الخميس 27 جانفي 2011 ، ص 21.

9- صالح بلعيد،(... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 243.

10- صالح بلعيد، المرجع السابق، ص 261.

11- صالح بلعيد، (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 290.

*- نقصد هنا بالأولى: المقالة الأولى التي تتحدث عن التراث العربيّ الإسلاميّ حسب ترتيبنا الذي عرضناه في هذا المبحث، أي المقالة ما قبل الأخيرة في الكتاب ككلّ، وهو الاستعمال الذي سنعتمده فيما يلي من البحث.

12- صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 249.

13- المرجع السابق، ص 281.

14- نفسه، ص 254.

15- نقصد هنا بالثانية: المقالة الثانيّة التي تتحدث عن التراث العربيّ الإسلاميّ حسب ترتيبنا الذي عرضناه في هذا المبحث، أي المقالة الأخيرة في الكتاب ككلّ، وهو الاستعمال الذي سنعتمده فيما يلي من البحث.

16- صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 282.

17- المرجع السابق، ص 267.

18- نفسه، ص 300.

19- لابد من الإشارة هاهنا إلى أنّ الأسبان يعترفون أنّ نسبة لا يستهان بها من لغتهم إنّما هي من أصول عربيّة، وهذا اعتراف من الغرب نفسهم.

20- صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 257.

21- نفسه، ص 280.

22- المرجع السابق، ص 247.

*- قد نعتبر المعجم العربيّ التاريخيّ من أهم عُقد الدرس اللغويّ العربيّ الحديث، فكلّ اللغات العالميّة في عصرنا هذا تمتلك مثل هذا المعجم إلا اللغة العربيّة التي لم تتمكن من انجازه رغم المحاولات العديدة لتبني المشروع.

23- صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص 247.

24- نفسه، ص 300.

الأسس النفسية والاجتماعية لتطوير اللغة العربية مستخلصة من كتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) للأستاذ صالح بلعيد

أ. عمر بورنان

- **مقدمة:** هذا كتاب جديد يضيفه الأستاذ الفاضل صالح بلعيد إلى المكتبة العربية، وهو متميز عن بقية مؤلفاته، إذ إنّه ينتقل انتقالاً واضحاً من الدراسة النظرية: من دراسة قوانين العربية، وقواعدها، والأخطاء المحدثة الجارية على ألسنة متكلميها، وطرائق تدريسها وما شابه ذلك، إلى البحث عن طريقة إخراجها مما هي عليه من تأخّر وتخلّف، ويكشف عن الأسباب الحقيقية لتلك المشاكل التي يعاني منها المتكلم العربي تجاه لغته، ولا يكتفي المؤلّف في كتابه هذا بتشخيص الداء ولكنّه يتعدّى ذلك إلى وصف الدواء بتحديد دور كلّ مؤسّسة من مؤسّسات الدولة في خدمة اللغة العربية[1]. ويرى المؤلّف – من خلال العنوان– أنّ العربية في عصرنا هذا، في حاجة إلى قرار سياسي ملزم باستعمال العربية وتفعيلها في جميع الميادين، وذلك بتضافر كلمة جميع مؤسسات الدولة ووزاراتها على تسهيل استعمال العربية كلٌ حسب تخصصه[2].

ولما رأيت المؤلّف يتساءل عن سبب نجاح بعض الأمم في ترقية لغاتها وفشل الأمة العربية في جعل لغتها تنافس اللغات الأعجمية، رأيت أن أستنتج الجواب من ثنايا الكتاب، فقسمت قراءتي هذه إلى عنصرين اثنين: خصّصت العنصر الأول لقراءةٍ في العنوان، وبحثت في العنصر الثاني عن الدوافع التي بإمكانها تطوير اللغة العربية.

1. **قراءة في العنوان:** عنوان الكتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) مستوحى من قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إنّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» ومعنى يزع يكفّ، وعليه فإنّ ظاهره غير مقصود، إذ العربية ليست في حاجة إلى الحاكم ليمنع عنها شيئاً عجز العالم عن منعه، وإنّما هي في حاجة إلى حاكم يدفع بها إلى الرقي والتطوّر بتعميم استعمالها في هيئات الدولة وذلك ما عجز العالم عن فعله، لذلك كان المقصود من العنوان بنيته: (يفعل... ما لا يفعل...) التي تدل على أنّ العالم هو العامل الأقوى لترقية اللغة العربية، غير أنّ غير مستغن بنفسه بل هو محتاج إلى غيره، كما أنّه قد لا يكون العامل الأقوى في بعض المواطن، فتحتاج اللغة العربية إلى غيره وهو الحاكم، وهذا هو الظاهر من بنية الجملة (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) وفعلاً فإنّ اللغة العربية في عصرنا هذا في حاجة إلى قرار إلزامي يصدر عن الحاكم مهما كانت تسميته[3]، وهنا أتساءل: هل يستطيع العالم والحاكم ترقية اللغة العربية دون عوامل أخرى؟

2. **الدوافع التي تؤدي إلى ازدهار اللغة العربية:** إنّ تطور اللغة العربية غير متوقف على الحاكم وحده، ولا على العالم وحده، ولا عليهما فقط، ولكنه متعلق بعوامل متعدّدة تضاف إلى العاملين الأساسين (الحاكم والعالم) لذلك قال المؤلف: «...لأنّ العربية الآن بحاجة إلى من يجدّد لها شبابها، ويعيد لها نضارتها بالعمل والعلم، وهذا لا يكون إلاّ بتضافر مجموعة من العوامل[4]»، جاءت هذه العوامل منثورة في صفحات الكتاب، مقسّمة على فصوله، مبثوثة بين سطوره، يستنتجها القارئ شيئاً فشيئاً، وإن لم يخصص المؤلّف لها باباً لإحصائها وتفصيل الكلام فيها، إلا أنّه تناولها كلّما جذبه الكلام إليها، وسنحت له فرصة للحديث عنها، وقد تتبّعت ما ذكر في الكتاب وكان متعلقاً بهذا الموضوع، واستخرجتُ العوامل المساعدة على

تطوّر اللغة العربية فوجدتها متمثلة في أمور نفسية اجتماعية، تمسّ الحاكم والعالم والمجتمع بمختلف شرائحه، فإن توفّرت قام كل فرد بواجبه في ترقية اللغة العربية والمحافظة عليها وإيثارها على غيرها من اللغات، وإن لم تتوفّر لم يهتم الفرد بلغته الأم، ولم يعمل على تطويرها، وهذه العوامل هي:

أ- **حب اللغة والاعتزاز بها:** هذا العامل هو أهمّ العوامل وأقواها على الإطلاق، لأنّ الإنسان إذا أحب شيئا اهتمّ بأمره، وعمل على تقديم كل ما يراه مفيدا في إصلاحه، وبغير مبدأ حبّ اللغة الأمّ لا يمكن إقناع الناس باستعمالها والعمل على تطويرها، لذلك بدأ المؤلّف كتابه بذكر هذا المبدأ، فكان أول ما افتتح به الكتاب، فقال: «يقول أحد الباحثين: من لم ينشأ على أن يحبّ لغة قومه، استخفّ بتراث أمته، واستهان بخصائص قوميته[5]» وكرّر الحديث عن هذا المبدأ في مواضع كثيرة من الكتاب بيّن فيه:

- **حب اللغة مرتبط بحب الوطن:** وذلك في قوله: «من لا يحبّ لغته لا يمكن أن يحبّ وطنه[6]» لأنّ اللغة من المقوّمات الأساسية التي تميّز بلاد عن بلاد، وقطر عن قطر آخر، ولهذا ترى كثير من البلدان الأوربية تهتم وتعتز بلغتها، وقد ذكر المؤلّف منها فرنسا تمثيلاً، وليس للغة العربية وطن صغير كبقية اللغات، ولكنها رزقت وطناً واسعاً، ولعل في ذلك خير كثير مستقبلا.

- **حبّ اللغة عامل من عوامل الوحدة العربية:** يرى المؤلف أنّ حبّ اللغة العربية من الإيمان، لأنّ حبّ اللغة العربية ينتج عن حبّ العرب، وحبّ العرب ينتج عن حبّ الرسول ﷺ، وحبّ الرسول ﷺ ينتج عنه حبّ الله، وفي ذلك يقول: «من أحبّ الله، أحبّ رسوله العربي، ومن أحبّه، أحبّ العرب ومن أحبّهم، أحبّ اللغة العربية، ومن أحبّها عَنِي بها، وثابر عليها، وصرف همّته إليها[7]» مشيرا – بتصرّف- إلى قولٍ لأبي منصور الثعالبي ذكره في مقدمة كتابه فقه اللغة وأسرار العربية[8] ولو شئنا اختصار الأمر لقلنا: حبّ

الله ينتج عنه حبّ اللغة العربية، فإذا اتّفق العرب في هذا الحبّ توحّدت أوطانهم وأصبحت وطناً واحداً، فحري بهم أن يعملوا على صيانة اللغة العربية التي من شأنها تحقيق هدف عظيم كهذا.

- **من أحبّ لغته واعتزّ بها أبدع:** من أهمّ المشاكل التي تعرفها العربية في العصر الحديث عدم مسايرتها للتطوّر الحضاري، ويرجع ذلك كلّه لاختلاف الباحثين العرب حول ترجمة المصطلحات العلمية، والسبب الأقوى لوجود هذا الإشكال هو أنّ المبدعين باختلاف مجالات تخصّصهم: الطبّ العلوم اللغوية، الهندسة، الإعلام الآلي، الميكانيك... إلخ أعاجم، ولعلّ التخلّف الذي يعاني منه العرب، وعدم قدرتهم على الإبداع هو عدم حبّهم للغتهم العربية، وعدم اعتزازهم بها، وفي هذا يقول صالح بلعيد: «الاعتزاز باللغة الأم (القومية) باب يفتح لنا الندية، ويجعلنا نعيش الإبداع[9]» ولا يفهم من قوله هذا، الإبداع الأدبي وحده من نظم قصيدة، أو كتابة رواية؛ وإنّما المقصود الإبداع بكلّ أنواعه بحيث يكون العرب مسايرين للعصر الحديث.

ب- **الغيرة على اللغة:** من الأسباب التي تساعد على تطوّر اللغة العربية غيرة أبنائها عليها، لذلك ذهب المؤلف إلى أنّ «الغيرة على اللغة **واجبة**، مثل الغيرة على العرض[10]» لأنّ الغيرة على اللغة العربية تجعل المتكلّم العربي يأنف من كلّ ما يفسدها يكرهه، ويعمل جاهدا على إصلاح الخلل الواقع بها وشبيه بهذا، ما ذهب إليه أبو الفتح عثمان بن جني عند كلامه عن السبب الذي يجعل العربي الفصيح لا يخرج عن الفصاحة ويستبعد منه إتباع لغة بعيدة عن القياس[11].

ج- **الأزمة:** يبدو أنّ المؤلّف يرى أنّ المبدأ الفيزيائي: "كل قوّة تولد قوّة معاكسة لها في الاتّجاه مساوية لها في المقدار" وهذا يصدق على اللغة، فكلّما استُفزِت العربية، وكلّما كثرت مشاكلها، وتعدّدت أسباب

تأخّرها، ظهر رجال يعملون على الحفاظ على سلامتها، بل يبذلون جهدهم لترقيتها، وفي تعبير منه ويصف المؤلّف هؤلاء الرجال بصورة ضمنية بالثوار فيقول: «... المسألة اللغوية مثل **الثورات** التغييرية في العالم، فهي لا تنتظر السلاح أو المدد، بل تدخـل غمـار المعركـة، فيأتي السـلاح والمدد، ويحصل الاستقلال الذي يأتي بالتغيير، وهذا هو مرامنا، فنطمح في التغيير النّوعي، فكلّ تغيير نوعي مآله النجاح والأزمة تلد الهمة، واشتدي أزمة تنفرجي[12]» ولا يُفهم من كلامه هذا أنّ الأزمة بذاتها هي التي تخرج العربية من تخلّفها، بل الأزمة تدفع المتكلمين العربيةَ إلى تطويرها[13] لما يحسّونه من هوان في ظلّ تأخّر لغتهم.

د- **إثبات الهُوية:** كما أنّ من الأسباب الباعثة على الاهتمام باللغة العربية "اللغة الأم" العمل على إثبات الهُوية، لأنّ اللغة أصل من الأصول التي تفرّق أو تجمع بين أفراد أمّة ما، وفي هذا الصدد يقول: «فاللغة الأمّ عنوان وجود الشخص، وهي الفكر في أكثر رموزه الأدائية، وفيها وبها يحصل تبادل الإلزام بين الهُوية القومية واللغة الوطنية؛ لأنّ باللغة الأمّ تصنع الأفكار وتنقل العواطف؛ حيث إنّ طموح القوميات ترى أنّه في الإمكان أن تكون لغاتها لغة علمية عالمية، وهذا ليس بعزيز[14]». وهذه العوامل الباعثة على الاهتمام باللغة العربية المتمثلة في حبّ اللغة والاعتزاز بها، الغيرة على اللغة، العمل على الخروج من الأزمة، العمل على إثبات الهوية، فإن اجتمعت كلّها أدّت حتماً إلى حث المتكلّم العربي على المساهمة في تطوير لغته والنهوض بها، وإن وُجد بعضها أغنى عن بعضها الآخر.

وخلاصة المداخلة إنّ هم المتكلم العربي لا يتمثّل في البحث عن التطوّر بأية لغة كانت، لأنّ ذلك لن يتحقّق له أبداً، وإن تحقق فإنّه لن يحقق ما تحققه اللغة الأم (العربية) لأنّ التطوّر المادي المحقق بلغة أجنبية لن

يضمن له الهُوية وما لها من جذور تاريخية، والوحدة الوطنية وما يتبعها من تماسك اجتماعي، ولن تمكنه تلك اللغة الأجنبية من الإبداع لأنّ نفسه تجد حيالها شيئاً لا تزال تأباه وتنفر منه، وأيّ حضارة قامت على هُوية غير أصيلة، وبغير وحدة وطنية ولا تماسك اجتماعي، وبغير اختراع وابتكار؟

---

1 – ينظر: صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص49– 75.

2 – المرجع نفسه، ص62– 75.

3 – صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص13.

4 – نفسه (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص46.

5 – نفسه (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص09.

6 – نفسه (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص19.

7 – صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص46.

8 – أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، شرح وتعليق ديزيره سقال، ط1. بيروت: 1999م، دار الفكر العربي، ص10.

9 – صالح بلعيد، المرجع السابق، ص51.

10 – نفسه، ص09.

11– أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دط. بيروت: دس، المكتبة العلمية، ج2، ص26، 27.

12 – صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص22.

13 – المرجع نفسه، ص50.

14 – نفسه (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) ص50.

لماذا نجح القرار السياسي في أمة إسرائيل وفشل في الجزائر؟
قراءة في محور اللغة القومية والإرادة السياسية
بين مولود قاسم وصالح بلعيد

بقلم: عبد الغاني قبايلي

مقدمة: إنّ موضوع اللغة من أقدم الموضوعات التي بحثت فيها العبقرية البشرية، وقد جعلتها بعض الفلسفات حدًّا فارقًا بين الإنسان والحيوان، وجعلها الأدباء والشعراء الأهلَ والنسبَ والوطنَ وكلّ ذلك والعديد غيرها؛ لأنّ اللغة هي التي تكوّن إنية وشخصية الإنسان وليس العكس، وهي التي تؤثر فيه وليس العكس فهي صدى روح الأمة، وهي تؤثر في التصوّرات وتصبغ عليها معاني وألوانًا، وتعكس عليها أشعة أو ضلالاً خاصة بها، إنّها التي تجعل الإنسان من هو، وليست مجرّد أداة تعبير يعبّر بها الإنسان عن نفسه بل هي؛ أي اللغة الطبيعية الإنسانية التي تبرز منه في شكل أصوات خاصة معينة لا يمكن أن تكون غيرها؛ إذ بهذه الأصوات الخاصة التي هي صدى روح الأمة بما تحمله من شحنات عاطفية وتصوّرات ومفاهيم وذكريات مشتركة، يتفاهم الإنسان مع من يشاركونه التصوّرات نفسها والمفاهيم نفسها والطبائع والتقاليد والعادات والذكريات ومثلما يقول فختة؛ أي موطنه ولو كانوا قد ولدوا في قارات أخرى غير قارته.

قد تتعجّب الغوغاء كعادتها ممّن لا يتوفرون على حسّ فلسفي وجدال منطقي من قول فخته هذا ومن مثل هذه الأوصاف، وتأخذهم الحيرة والحسرة

على الأموال الطائلة التي تنفقها بعض الأمم على هذه اللغة أو تلك ولكنّهم جهلوا وكم في الجهل من ضرر؟، أمّا النخبة وأنعم بهم من فئة فهم وحدهم يدركون أنّها سرّ الحياة وإكسيرها، وأن إعمالها كإعمال السحر، وقد يختلفون أحيانًا حول العبارة العلمية الواصفة، أو حول خطط تفعيلها في المجتمع وفي كافة المؤسسات الرسمية والهياكل الثقافية، ولكنّهم كلّهم على دراية كاملة بأهميتها وليس بعيدًا عن هذا السياق يأتي كتاب لغوي للباحث الجزائري "**صالح بلعيد**" بعنوان "**(... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم)**" كنداء للأمة العربية للتذكير بأهمية علاقة اللغة القومية بالإرادة السياسية ليلخص من خلاله المشكلة اللغوية وأزمة الهوية في العالم العربي، وكتبشير لخلاصها من تلك التحدّيات الخطيرة التي تسعى إلى إحلال "**أبوكاليبس شامل للثقافة العربية**"

وفي هذه المقالة المقتضبة سأحاول أن أقرأ كتاب (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) من خلال محوره الأوّل أي؛ "اللغة العربية والإرادة السياسية" الذي يعتبر تكملة نوعية وتفصيل لنداءات كثيرة أودعها المؤلف في كتاب نشر قبل فترة بعنوان "**لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام ولم ينجح في...**" وهذه القراءة ستكون مختلفة تمامًا عمّا عهدناه في القراءات العلمية ذات المعايير الأكاديمية، وسأتوجه بها إلى الغيورين مهما كان مستواهم ومهما اختلفت مشاربهم، ووجه الاختلاف فيه كعودة على بدء هو أنّني سأظهر أمجاد ونجاحات أكثر الناس عداءً للعرب والمسلمين وعدّوهم الأزلي والأبدي، قصد استفزاز الإرادات وشحذ الهمم لرفع التحدّي، وهذا العدوّ المتمثل في الأمّة "**الإسرائيلية**" وأقارنها بالسلسلة الطويلة من الفشل الذريع الذي تخوض فيه الأمة العربية حكومات وشعوبًا، فقد يقول قائل: إنّه ليس من

الصواب في شيء أن تقارن بين أمّه لها من الأمجاد ما لها وهم "**العرب**" بأمة ليس لهم من ذلك كلّه إلاّ الخيانات والضياع!. نعم أقوم بذلك لا لأنّني منبهر أو منصهر، وإنّما لأنّ العدوّ الذكي خير ألف مرّة ومرّة من جيش الأصدقاء الأغبياء، ولأنّ العدوّ يكون أحيانًا أصدق وأسرع معلّم يمكن أن يعلمنا أسرار التحدّي، وألغاز الصمود، فهناك ألف سبب للنهاية وهناك ألف درب للرحيل ولكن سبب واحد للبقاء وطريق واحد للعودة لا يتحمّل جميع الأطروحات وإنّما يختار لنفسه الأنقى والأرقى والأبقى، وسعيًا منّا إلى البحث عن هذا السبب وهذا الدرب أقترح التدرّج التالي:

1)- السنة الأربعون والفصل الأخير من رواية الضياع العبري: ما يعرف عن اليهود في التاريخ أنّهم أقلّ الأمم اهتمامًا بلغتهم، فهم لم يأخذوا بدراسة لغتهم "**العبرية**" حتى زمن قريب وهو زمن احتكاكهم بالعرب في الأندلس، فحاولوا محاكاة علماء العرب بدراسة لغتهم، ورغم ذلك إلاّ أنّ ما نتج عنه فهو قليل شاحب جدًّا ولكنّنا إذا عدنا قليلا في الزمن إلى الوراء إلى تاريخ: 15 جوان 1965م فإنّ الكاتب الصحفي الفرنسي "**نيكولاي بوديه**" ينشر مقالا مطوّلاً يلخص فيه تجربة اليهود وجهود إسرائيل من بعدهم في إحياء لغتهم التي كتب بها التوراة، وتلت سلسلة من المقالات من هذا النوع في جريدة "**لوموند-Le Monde**" الفرنسية، قبل أن يعمد صاحبها إلى جمعها في كتاب ضخم نشره بتاريخ "30 أفريل 1967م" تحت عنوان "**الدين الإسرائيلي في دولة اليهود**" ومن مادة هذا الكتاب الثمين سأربط موضوعي هذا به على التفريع التالي:

1-1)-المبدأ والأساس في بناء القومية الإسرائيلية: إذا حاولنا فهم إسرائيل من الداخل وعن كثب فإنّ أوّل مبدأ يظهر نفسه في رابعة النهار هو

مسألة الهوية الدينية وربطها مباشرة بالتوراة، واللافت للانتباه أن الهوية الدينية يمكن أن تكون مطلبًا شخصيًا في هذه الأمة، لا يستوجبه الدستور على جميع المواطنين، ولكن التوراة ككتاب مقدس في هذه الملّة هي الأصل المشترك والخيط الجامع بين اليهود جميعًا، فإنْ كان تسامحهم باديًا في اعتناق الديانة فإنّ الأخير بمثابة المرجع الذي لا نقاش حوله ولا حوار إلاّ من خلاله وله بلا "**لِمَ ولماذا**" يقول نيكولاي بوديه "**إنّه إذا كان الدين في إسرائيل من الشؤون الخاصة لكلّ فرد، فإنّ التوراة ملك مشترك بين جميع المواطنين، بل هي دستور هذه الدولة اللادينية**" إذًا هذا الموقف لم يكن مجرّد ميل طائفي أو وصية من أحد الحاخامات اليهودية الغيورة، بل تعزّز ذلك أكثر فأكثر حتى عاد مسلمّة أبدية لا تقبل الشكّ أو المساومة، وقد جاء في بيان إعلان استقلال إسرائيل ما يلي: "**ستقوم دولة إسرائيل على مبادئ الحرية والعدالة والسلم كما كان يفهمها أنبياءُ إسرائيل..**" وفي المادة التي تلي هذه الفقرة ينصّ على أنّ "**هذه الدولة ليس لها دستور، ولكن دستورها العملي هو التوراة، ومن حين إلى آخر تصدر قوانين جزئية حسب الحاجة**" إنّها دعوة صريحة إلى إحياء تراثهم الضئيل المتمثل في كتاب "**التوراة**" وهذا هو الهدف الأسمى الذي وضعوا فيه كلّ مجهوداتهم واستثمروا من أجله كلّ أموالهم، وعندما علّق نيكولاي على هذه الحقيقة قال: "**إنّ الشيء الأوّل الذي يلفت النظر في إسرائيل هو هذا المجهود الجبّار المبذول لإحياء تراثهم لإحياء التوراة فالمهاجرون المثقفون الذين جاؤوا من أروبا والآخرين الذين يجرّون جلابيبهم الشرقية، وإذا كانوا يختلفون في هذه الأشياء أو تلك فهم يجمعهم شيء واحد على الأقلّ: وهو أنّهم كلّهم يتكلّمون العبرية وسيكونون في بلاد تقوم كلّ حياتها على أساس التوراة..**" فكيف أمكنهم

إعادة التوراة إلى زمن المعلوماتية والطائرات النفاثة وإلى عصر الأقمار الصناعية والصواريخ العابرة للقارات مثلما يفكر أغلبية المسلمين حول إشكالية قيام حياتهم على القرآن، فمشاكل اليوم لا تحتاج إلى حلول الأمس إنّ بني إسرائيل لم يفكروا في ذلك لشغلهم الشاغل في إحياء تراثهم الذي يعبّر عن هويتهم، ويلخص تاريخهم وأجمعوا على أن يجعلوا مقولة واحدة هي مبدأهم والتي مفادها "**تبًا للحضارة والتقدّم إذا كانا على حساب التوراة**" هذه المحاولة الجامحة صاحبها في الخطّ المستقيم الموازي محاولة إعادة بعث لغة لم يتحدّث بها آدامي منذ ما يقارب ألفي سنة يقول بوديه: "**إنهم أحيوا لغة مشتركة بينهم ماتت منذ ما يقرب ألفي سنة**" قد تجعلهم هذه المحاولة فيها يخيّل إلى بعضنا في رأي غيرهم محاولة بائسة يائسة لإثبات أصالتهم وعراقتهم، وقد نصفهم بكذا وكأي وكم وذا، أو نصفهم بالمجانين والمهدرين للوقت من دون سبب مقنع لذلك ولكن النتيجة الحتمية عن إسرارهم وعزمهم وجدّيتهم هي: **أنهم نجحوا....نعم نجحوا وأي نجاح**!

ب)- العهد الجديد وموسم الهجرة نحو الشرق: عندما تكون إرادة الأمة كلّها موجّهة نحو هدف واحد وطموح واحد فإنّ نجاحها يكون ممّا لا نقاش فيه ولا شكّ حوله، وهذا ما نلاحظه بشكل جليّ وظاهرة في الأمة الإسرائيلية التي ترجمت إرادتها في العودة وهدفها في بعث هويتها وطموحها إلى إحياء لغتها، وفي هذا السياق يقول بوديه: "**لقد كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوربا الشرقية عامة هي "اليديش- Yiddish" وقد كانت لهذه اللغة آدابُها ولكنّهم تركوها وآدابَها ليحيوا لغة أخرى ماتت عمليًا منذ نحو ألفي سنة ألا وهي العبرية وهذا الإحياء الذي يبدو لأوّل وهلة اصطناعيًا هو الطابع الأساس والأكثر**

أصالة لإسرائيل والأكثر إقناعا بوجودها كدولة وكأمّة.." وهذا الانضباط المشترك كان داخليًا قبل أن يتحوّل إلى قضية خارجية، وقد ذكرت بعض الإحصاءات أن مجموع اللغات التي كان يتواصل بها المهاجرون إلى أرض القدس تتجاوز المائة (132) ولكن رغم ذلك إلاّ أنّه لم يسمع إطلاقًا أن مهاجرًا ألمانيًا حاول بث الألمانية أو أمريكيًا أو فرنسيًا حاول بث هذه اللغة أو تلك في هذه الأمة الفتية، بل كانت العبرية بمثابة الإيمان الراسخ، وكان إجماعهم على لغتهم وممارستها بشكل يومي وعام أكثر من إجماعهم على أيّ شيء آخر غير العبرية، فالعبرية أولا وأخيرًا ودائمًا وأبدًا، ويظهر ذلك في كثير من مواضيع يلخصها بوديه بقوله "**فكم من مدينة ونهر وشارع لها أسماءٌ مأخوذة من التوراة، وطوابع البريد والعلمية تستعمل رموزًا ثوراتية والحافلات ترفع شعارات وأعلامًا توراتية، والإذاعة تبدأ وتنهي نشرتها بتلاوة نصوص من التوراة والتلامذة في المدارس بجميع أنواعها يكرسون نحو ثلاثين في المائة من مجموع دروسهم لقراءة وشرح التوراة التي هي البداية والنهاية وجمع الجوامع في نظرهم..**" أمّة كاملة تكرّس كلّ وقتها في الجدّ والكدّ والعمل المتفاني وتنفق جلّ أموالها لإعادة تراثها، وإيهام العالم بكلّ مثقفيه ومؤرخيه وعلمائه وغوغائه بأصالتهم ومطالبتهم بشرعية حقهم في أن يحترموا كشعب وكأمة وكدين وكهوية، وقد نجحوا في ذلك من خلال النظام الصارم الذي تفرضه المنظومة التربوية في أمّة إسرائيل، وهذا ما نلتمسه في مقولة بوديه، والتي مفادها: "**وفي ظرف الثماني سنوات يستغرقها التعليم الإجباري؛ أي الابتدائي يكون التلميذ الإسرائيلي قد قرأ وفهم التوراة تقريبًا من ألفها إلى يائها، وحفظ منها جزءًا كبيرًا وتعوّد على شروح أهمّ مفسريها..**" ونفهم من هذا القول وغيره كثير أن التربية الوطنية في هذه

الأمة إنّما هي في الحقيقة تربية توراتية "**والذي يلفت النظر في هذا هو أن الإسرائيليين غير المتدينين أو أحرار الفكر يعكفون على دراسة التوراة بالحماسة نفسها، وذلك من وجهة نظر وطنية وتاريخية وأخلاقية وأدبية وحتى أثرية...**" وإذا كان سياق الحديث يروي على لسانه حال العامة فإنّ الحكوميين والأكاديميين ليسوا على حرف من هذه الحماسة، وليسوا أقلّ مسؤولية والتزاما من محكوميهم، فبالنسبة للخاصة " **وفي الوزارات ومختلف الإدارات تتكوّن حلقات منتظمة لدراسة التوراة، حلقات تضمّ أناسًا من القمّة إلى القاعة في أجهزة الدولة...وحتى الأبحاث الجيولوجية والأثرية والنباتية والزراعية بصفة عامة تلعب التوراة دورًا أساسيًا بل وحتى الإستراتيجيات العسكرية تستقى من التوراة معلوماتٍ وذلك باستمرار وبصفة دائمة... وأكثر جوانب هذه الظاهرة كلّها دلالة على اهتمام الشعب كلّه بالتوراة هي المسابقة الوطنية المنظمة سنويًا داخل الجامعة العبرية في القدس والتي يتتبّعها باهتمام أكثر من ستين في المائة من مجموع السكان، وثمانين في المائة من كبارهم..**" وكلّ هذه الهمم المجنّدة والتنظيمات النوعية الدائمة قد أتت أكلها في كثير من الميادين المحلية والعالمية، وسرّ ذلك إنّما هي الغيرة على الهوية.

ج)-التأسيس للبداية وتأجيل النهاية: أحيانًا يكون التحقيق الأسرع لطموحات الأمة أفضل عامل يجلب الاحترام، فالاهتمامات الأولى باللغة العبرية يعود إلى الأمس القريب وبالتحديد سنة (1888م) أين بدأ اسم "**ألعازر بن يهودا**" يوصف مجازًا وحقيقة على أنّه أوّل من أضاء شمعة العبرية منيرًا بها درب مصير كامل للأمة الإسرائيلية، وقد تلخصت جهوده في بناء مدرسة ابتدائية كانت من تصنع التاريخ الإسرائيلي الحديث، يقول بوديه: "**لقد أنشئت**

أوّل مدرسة ابتدائية لأحياء هذه اللغة سنة (1888م) وخلق لها مشؤها "إليعازر بن يهودا" مفردات جديدة بذل كلّ الجهد في إيجادها، ومن هذه المدرسة الابتدائية، من هذه النواة البدائية انطلق خطّ مستقيم متواصل أدّى في النهاية إلى تأسيس الجامعات الأربع التي نجدها اليوم في إسرائيل..." فضلا عن تأسيس المجمع العلمي العبري سنة (1953م) مع تأسيس مجلس أعلى للغة العربية الذي يشمل نحو أربعين لجنة متخصّصة في مختلف الميادين العلمية والتقنية والأدبية والفنية وغيرها لإنشاء اشتقاق المفردات الجديدة حسب الحاجة ووفقًا لروح اللغة وعبقريتها، وبعد أن يتمّ الاتفاق على صلاحية تلك المفردات تنشر في الجريدة الرسمية ويصبح استعمالها إجباريًا في جميع دواليب وأجهزة الدولة.

إذًا فعلاً يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم، وإذا ضيّعت الأصول استحال الوصول هذا درس آخر يقدّمه الإسرائيليون للعالم، في الجدّية والإسرار والتحدّي، ولله في خلقه شؤون، وليس بعيدًا عن هذه الأمّة، ولا خارجًا عن هذا الإطار يشاء ربّك وتقضي نواميس الحضارة وتطوّر الشعوب أن ينقلب السيّد عبدًا والهازم مهزومًا، والمعلم المخرج الناس من غياهب الظلمات إلى وقوعه في دامس الجهل وتسليم أمره إلى زمن ضياع الإنية والأصالة، وليس هناك في الناس واحد منهم في الدنيا لا يفهم أنني أقصد العرب، هذه الأمة التي كانت طفرة في تحضّرها وأصبحت طفرة في تخلّفها أفلا يعتبرون؟

2)- بداية النهاية وإنهيار أسطورة الخلود: عندما كان العرب عربًا كانت السيّدة اللغة العربية الملكة التي تحكم دنيا الملوك بسلطانها، والسراج المنير الذي حمل العلم والأدب والفلسفة والفن والأخلاق والنظام إلى الأوربيين الهمج، وقد كانت النخبة منهم يتسابقون إلى إلتقام فكر السادة، من

ابن سينا والبيروني والغزالي وابن رشد وجابر بن حيان وذا وذا ....فأين زرياب وأين الشعر، وأين الموصلي؟ كل هذا كان يجب أن يحدث، كلّ هذا التخلّف كان لابدّ منه كنتيجة حتمية لتراجع غيرة العرب على ملكتهم وثقافتهم ودينهم ولغتهم فبدأت مرحلة جديدة من المسخ والتنصل والذوبان وحتى الديوثة أحيانًا، انتهى كلّ ذلك باستعمار كلّ البلدان العربية واستدمارها ولم تعرف بعدها نشوة الحرية ومذاق الانتصار وماتت أجيال بأكملها دون أن ترى جمال الحرية وبريق المجد، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت بعض البلدان العربية تتحرّك بخطوات ثقيلة نحو الاستقلال والحرية وكان لهم ذلك، فبدأت النخبة تفكر في المصير الذي ينتظرها بين مفارقات عديدة أهمّها حدّة تخلف العرب، ولكنهم رفعوا تحدّ مفاده " **ورغم الخوف فإنّه يجب ألاّ تضيّع ملامحك، واذهب أينما ذهبت لكن يجب أن تحمل ثقافتك**" وبعد الاستقلال مباشرة وأثناء حكم القيادات الثورية في العالم العربي وفي ظلّ حماسة الشارع العربي عقد الجميع عزمهم على تنظيف الشخصية العربية المتمثلة في الهوية واللغة ممّا علق فيها من شعوذة المستعمر، ومن أجل ذلك لاحظنا نوايا حسنة في تشييد مجامع لغوية ومجالس عليا لجلالة اللغة العربية على أراض شبعى دمًا لا لشيء إلاّ لأنّها تتحدث بالعربية وتدين بالإسلام، وهذا كان حال أغلب بلدان العالم العربي فضلا عن ترسيمها؛ حيث إنّ أغلب الدساتير العربية جعلتها من المبادئ المطلقة والمطالب الراسخة في الشخصية العربية، وبعد ما يقرب النصف قرن نلاحظ أن أغلب هذه المجهودات قد بدّد وما تبقى منها فقد اختص بجانب معيّن دون الآخر؛ حيث إنّها لم تمس الحكومات والإدارات والجامعات ومختلف هياكل الدولة والأمة، رغم الشعار الذي رفعته الهيئات الوصية من محاولات مختلفة تهدف

إلى ترسيخ التعريب، هذا الطموح الذي فيما يبدو عليه لم يكن بالقوة اللازمة التي دفعت بعض الدول العربية إلى العودة الوفية للغة المستعمر الذي انتهك الأرض والعرض، بل أكثر من ذلك فإنّنا نسمع صيحات مبحوحة من هؤلاء وهؤلاء المنحوسين المنخوسين الموكوسين المعكوسين المطموسين ممّن اعتقدوا أن الثقافة لا تُمّكن إلاّ باللغات الأجنبية وان الالتزام بالهوية العربية إحتقار للذات والتنصل والتمسخ، ولسوء الحظّ فإنّ هذه الصيحات قد وجدت لنفسها أتباعًا في المشرق والمغرب ونتيجة ذلك أنها لم تتوقف عند حدّ الاستعمار الثقافي وإنّما رسّخت عمدًا مبدأ "**القابلية للاستعمار**" مثلما يسميه المفكر الجزائري العملاق "مالك بن نبي" أو ما يسميه الأخ المناضل "مولود قاسم نايت بلقاسم" "**المركوبية**" فكلتاهما أصبحت تعمّق في الشخصية العربية دونما شعور منهم إلى أنّوصل بهم الأمر إلى التأخر المريع عن الركب الحضاري وأصبح التخلف عن الانتصار والأمجاد وتضييع الأمانة نتيجة حتمية وسنّة أكيدة.

ولكن رغم ذلك إلاّ أن بعض المفكرين العرب ممّن بارك الله تعالى في علمهم وحكمتهم قد رفضوا كلّ هذا الانسياب وكلّ هذا القبوع ليتجهوا بحكمتهم وبأفكارهم وأطروحاتهم إلى عالم البحث المجهد عن الحلول الكافية والصالحة السريعة لإعادة السيّدة اللغة العربية إلى عرشها الملكي بين الأمم ويرفع تاجها على الرؤوس العربية الشامخة، ومن هؤلاء النخبة المفكر واللغوي الجزائري "**صالح بلعيد**" الذي لا يكفّ عن ملاحقة الحلول الممكنة للمشاكل التي تقعّس اللغة العربية في ديارها، بل وأكثر من ذلك فقد طرح في أكثر من مناسبة أهمية القرار السياسي الذي لا يحتاج إلى استشارة أو طلب بقدر ما هو إجرائي صارم لا نملك أمامه إلاّ الانحناء والطاعة الفوريين وهذا

الحلّ وإن يبدو متعسفًا إلاّ أنه جاء في زمن لم تبق القلوب تعتبر بالنصائح والحكم، وأن العرب فيما يبدو عليه الأمر لم يفرغوا بعد من التباهي باللغات الأخرى على حساب لغتهم وبالأخص الفرنسية الهارية والإنجليزية الجارفة فضلا عن تقلص الإرادات الفعلية والجدّية مثلما مرّ سالفًا مع اليهود في إعادة بناء وتمثل الهوية والقومية العربيتين.

ب)- يزع بالعالم ما لا يزع بالعالم وتجربة المجتمع الجزائري في زمن الرئيس بومدين: من المستحيل أن يتحدّث المرء عن المسألة اللغوية ومكانة اللغة العربية في قلب ومخّ ولسان أيّ جزائري مهما كان عرقه دون أن يبدأ حديثه بالإمام العارف والعالم الرباني "عبد الحميد بن باديس" هذا الرجل مع مريديه الذين تحدّثوا عن اللغة العربية وأسّسوا لها متكئا مكينًا في زمن الحرام ضدّ محور الشرّ الأعظم فرنسا، ويتجسّد ذلك عندما وجه لها خطابًا هذا نصّه "**إنّ الجزائر لم تكن فرنسا وليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا، فالجزائر وطني والإسلام ديني والعربية لغتي**" إنّ ابن باديس يلخص ماضي وحاضر ومستقبل الجزائر العظيمة في ثلاث كلمات أساسية هي بمثابة الدستور الذي تقوم عليه الأمّة وهي العناصر والمبادئ التي تؤسس التربية الوطنية، وليس بعيدًا هن هذا السياق نتذكر خطاب الرئيس وحبيب الجزائريين "**هواري بومدين**" في قسنطينة بمناسبة تدشين جامعة الأمير عندما قال: "**وكما حرصنا على استرجاع جميع مواردنا وثروتنا المادية سنعمل على تعزيز هذا التكوين بتربية وطنية مثلى تساعدنا على استعادة جميع ثرواتنا المعنوية، وعناصر شخصيتنا والمكونات الأساسية لذاتيتنا، ومن أهمها الوسيلة الأولى للتعبير عن هذه الشخصية وتماسكها وازدهارها، حسب عبقرية شعبنا وأصالته..**"

"..ومن دون استرجاع هذا العنصر الهام الذي هو عنصر اللغة فإنّ مجهودنا سيظل أبترْ وشخصيتنا ناقصة، وذاتيتنا جسمًا بلا روح..."

"..وإنّه ليحلو لنا ونحن في عاصمتنا الثقافية، ومركز الإشعاع الفكري القومي طوال العهد الاستعماري أن نؤكد هنا ما سبق أن قلناه من أن التربية مهما كانت راقية إذا لم تكن وطنية فليست بتربية، وإنّ التكوين مهما كان عاليًا إذا لم يكن بلغة البلاد سيبقى ناقصًا أبترْ، بل وربما ترتب عنها انحرافات تحيد بنا عن جادة الصواب، وتفصلنا عن وجهتنا الصحيحة السليمة، وإنّ إحلال لغتنا مكانتها الجديرة بها في التعليم والإدارة ومختلف مظاهر الحياة اليومية والقومية لا يقلّ أهمية في نظرنا عن أي مشروع من مشارعنا الثورية الكبرى كإعادة تنظيم أجهزة الدولة، وتصنيع البلاد وتحقيق الثورة الزراعية.."

"وذلك أن لغتنا هي من أهمّ عناصر شخصيتنا، ولساننا الذي ينبغي أن نعبّر به عنها، وإنّها من أهمّ مطالب شعبنا طوال العهد الاستعماري، وهو واحد من الأهداف الأساسية لنضالنا الطويل وثورتنا المجيدة..."

"ونحن إذ نؤكّد عزمنا هذا مرّة أخرى فإنّنا نترك إلى جانب ذلك جميع النوافذ مفتوحة على لغات وثقافات العالم الأخرى، فهي تكميلية لنا، بل وضرورية كما هو الحال بالنسبة لأي بلد في العالم، تنهل من جميع الثقافات، ولكنّها تمنح المكانة الأولى لثقافتنا ولغتنا الخاصتين بها، واللتين هي بها من هي فهما أساس وجودها كأمة وعنوان كيانها ورمز **شخصيتها**،" وليس بعيدًا عن هذا السياق يأتي موقف الأخ "مولود قاسم نايت بلقاسم" الذي عبّر عن هذه الرغبة بالحماسة نفسها وهذا الموقف ألخصه في السطور التالية: "**فليتجنّد لهذا الهدف الوطني كلّ من في إمكانه القيام بشيء**

للإسهام في تحقيقه بالبدء بنفسه وعائلته وأصدقائه وبالإقناع والتوعية والتنبيه والقدوة الحسنة، وليضرب المثل العملي الحي في هذا الاتجاه كما لو كان تحقيق هذا الهدف الوطني العظيم مهمة ملقاة على عاتقه وحده، وكمبشر وعليها وحدها كمبشر، متوقفًا عليه وحده وعليها وحدها، وإذ ذاك يوجد جوًا حماسيًا عامًا يكتنف جهود المسؤولين ويشجعهم على المضي بسرعة، وتجاوز المراحل عوض الاكتفاء باجتيازها وبأقصى سرعة ممكنة وبذلك فقط نكون قد دخلنا في المرحلة الفاصلة الحاسمة لتحقيق هدفنا هذا لاسترداد هذا العنصر الأساس من شخصيتنا، هذه الرابطة الوطنية المعزز والضامنة لوحدة الأمّة، ألا وهي لغتنا التي نساهم في إطارها وفي إطار الجهد الحضاري الإنساني المشترك والتي هي رمز شخصيتنا وعنوان حياتنا ولساننا الذي نفصح به عن وجودنا بين الأمم" أين هذه الحماسة في جيل اليوم وأين هو الإسرار على استرجاع هويتنا ولغتنا وتراثنا أليس المشكل الموضوعي الذي تعيشه الجزائر اليوم نابع من تخلينا عن هذه الأهداف أهكذا بسهولة نجعل من أنفسنا متفرّجين مسالمين، ليس بالزمن البعيد هو ذلك الزمن الذي يكبر فيه أبناؤنا ويجمعون على لعننا على خياناتنا لهم، عندما نورّثهم الأرض فيجدونها تتكلم عربي وأمازيغي أفلا يسألون عن انحطاطنا عندما تمسخنا؟ إنّنا بصدد تربية أعداء لنا.

3)- يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم ومشروع القرار السياسي للدكتور صالح بلعيد: ولكن رغم هذه الإشارات الواعدة إلاّ أن واقع الحال يقرّ على أنّها كانت خطابات مناسباتية ونداءات مبتورة، كانت تمثل اتجاهات معينة ما لم يصاحبه بناء هادف ومدروس مصحوبين بقوة القانون وبثقل السلطان، ولو سألنا صاحب الكتاب "**الأستاذ صالح بلعيد**" عن الكيفية التي يمكن استثمار

هذه الإشارات لأجابنا بالتالي: يمكن تحسين وضع اللغة العربية أوّلا وقبل كلّ شيء بإخضاع جميع المنظمات الناشطة في الميدان إلى قرار جريء من جامعة الدول العربية وذلك عن طريق:

- التطبيق الفوري لتعميم استعمال اللغة العربية وعلى مراحل؛
- إنشاء لجان المتابعة؛
- إرداف ذلك بالقرار السياسي.

ولإنجاح هذا المشروع القومي يجب أن تستجيب له مجموعة من الإدارات وبشكل تدريجي، ولا ربما نحقق النجاحات التي حققها اليهود في إعادة بحث ثقافتهم ودينهم ولغتهم، ولما لا أن نتجاوزهم وأن نسبقهم إلى أشياء قد لا يصلون إليها إلاّ بعد قرون، ويرى صالح بلعيد أن هذه العملية التي تهدف إلى تشجيع العرب على ممارسة اللغة العربية تكون بالتدرجّ وعبر مؤسسات عديدة، منها:

أ)- النخبة العربية والمسؤولية الملقاة على عاتقهم: ومسؤولياتهم من حيث هم نخبة المجتمع وأخيار مثقفيهم إنما تكمن في:

- دراسة الفتور العربي في الوعي اللغوي؛
- دراسة ظاهرة مزاحمة اللغات الأجنبية في الشارع العربي؛
- النظر في مزاحمة اللغة الأجنبية في التدريس؛
- نزع الضبابية في أهداف تعليم اللغة العربية وتعلمها؛
- حلّ مشكلة التعدّد والتلوّث اللغوي؛
- حلّ مشكلة عدم شغوف المواطن العربي بالقراءة؛
- إيجاد حلول لتخلف طرائق تعليم العربية؛
- النظر في أسباب قلّة ما يترجم إلى العربية؛

- إيجاد حلول لقلّة ما يترجم إلى العربية.

ب)- وزارات التخطيط: وهي بدورها عليها أن تلتزم بالمهمات المحدّدة التي وجدت من أجلها هذه الإدارات الرسمية والتي يمكن تلخيصها مع المؤلف في النقاط التالية:

- مسح الحاجيات.
- تحديد الأولويات؛
- استخراج الأهداف؛
- تجنيد الوسائل لتحقيق الأهداف؛
- ضمان الميزانية؛
- تحديد زمن الإنجاز؛
- المتابعة والتقويم.

د)- المجامع اللغوية العربية: إنّ هذه المجامع قد وضعت خصيصًا لخدمة اللغة العربية بكلّ الطرائق الممكنة وبكافة السبل إلاّ أنها في كلّ مرّة تحتاج إلى تعزيزات وملاحظات تجعلها أكثر ثباتًا في عزمها الصوال، ومن بين ما اقترحه صالح بلعيد ما يلي:

- تكثيف جهوده في وضع المصطلحات وإنجاز القواميس العلمية؛
- العمل بالتنسيق مع وزارة التربية على تيسير تعليم اللغة العربية؛
- التكامل بينه وبين وزارة التعليم العالي في مدّ العلوم بالمصطلحات العلمية العربية؛
- العودة إليه في قضايا تأصيل المحيط وما يتعلق باللافتات التجارية والإشهارية؛
- التدخل في تعزيز الهوية اللغوية بتصحيح الأخطاء؛

- استثمار المعلوماتية في مجال إعداد المصطلحات؛
- سنّ جوائز وطنية لمن يقدّم أحسن عمل علمي باللغة العربية؛
- إصدار قانون يتعلق بالتوظيف من ضرورة إتقان اللغة العربية في مسابقات التوظيف.

هـ)- المجالس العليا للغة العربية: يرى الدكتور وجوب تطبيق ما جاء في المرسوم الرئاسي رقم (226/98) المؤرّخ في 17 ربيع الأوّل عام 1419 الموافق 11 يوليو سنة 1998م والذي ينصّ على:

- التنسيق بين مختلف الهيئات المشرفة على عملية تعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها؛
- تقييم أعمال الهيئات المكلفة بتعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها وتطويرها؛
- المساهمة في إعداد واقتراح العناصر العملية التي تشكلّ قاعدة وضع برامج وطنية في إطار السياسة العامة لبرامج تعميم استعمال اللغة العربية؛
- تقديم آراء واقتراحات في ما يخص التدابير التشريعية التنظيمية التي تدخل ضمن صلاحياته؛
- يرقى استعمال اللغة العربية ويحميها المجلس في الإدارات والمرافق العمومية ويحرص على سلامتها؛
- يدرس ويبدي رأيه في مخططات وبرامج العمل القطاعية الخاصة بتعميم استعمال اللغة العربية ويتأكد من انسجامها وفعالياتها؛

- يبدي المجلس ملاحظاته ويبلغ معايناته إلى الجهات المعنية؛ إذْ لاحظ تأخرًا في تطبيق البرامج المحدّدة، أو تقصيرًا في تنفيذ القوانين أو الأعمال المقررة، ويرفع بذلك تقريرًا إلى رئيس الجمهورية؛
- يوجه عمل المؤسسات والهيئات والقطاعات التي تمارس أنشطة الثقافة والإعلام والتربية والتكوين في تطوير وتعميم استعمال اللغة العربية؛
- يقوم ويدرس آثار الأعمال التي تبادر بها مختلف الهيئات والإدارات على اللغة العربية ويبدي رأيه في كلّ مشروع يمكن أن تكون له آثار على عملية تعميم وترقية استعمال اللغة العربية.

ح)- وزارات الداخلية: وهو الآخر الذي يجب أن يسهر على هذا المشروع القومي كسهره على أمن وحماية الموطن، من خلال بعض التحديدات التي فصّل فيها المؤلف على النحو التالي:

- ترسيخ الوعي بأهمية احترام اللغة العربية، وهي من احترام القانون العام؛
- الحرص على استعمال العربية في المحيط العام؛
- الترخيص باستعمال اللغات الأجنبية في المناطق السياحية؛
- فرض استعمال العربية في مختلف دواليب الوزارة؛
- إجراء دورات تدريبية لاستعمال الحاسوب بالعربية في مختلف مرافق الدولة؛
- تحديث الفعل الإداري بإدخال المناطيق المعرّبة في استخراج الوثائق الإدارية؛
- تسهيل فعاليات نشاط المجتمع المدني في مجال المناظرات العلمية والأدبية؛

- التشديد في تطبيق القوانين عن طريق الغرامات.

ط)- وزارات العدل: العدل هو القلب النابض للحضارة وإذا تمّ الاهتمام به فإنّ كل أركان الدولة ستتوحد تحت هدف النمو الورقي والازدهار، وهي بدورها يمكن تفعيل هذا المشروع باعتمادها على العناصر التالية:

- حماية اللغة باستعمالها استعمالا جيّدًا من قبل القضاة والمحامين؛
- حماية اللغة بفرض استعمالها في ملء العرائض؛
- ردع كلّ من لم يحترم منظومة اللغة العربية؛
- استعمال العربية في دواليبها وفي مختلف المؤسسات العامة والخاصة وفي كلّ القطاعات.

ك)- وزارات التربية: إنّ التربية والتعليم هما الخليتان الأوليتان التي تصنعان المجتمع ونجاحها مرتبط مباشرة بها ولما كانت بهذه الأهمية فإنّ المؤلف لم يرى إلاّ أن يسنّ لها مجموعة من الالتزامات التي ستسعى من دون شكّ إلى خدمة هذا المشروع القومي الذي يهدف إلى تقديم تربية وطنية خاصة بالشخصية الجزائرية، وقد رأينا فيما سبق أن نجاح المشروع القومي لإحياء التوراة واللغة العبرية في المجتمع اليهودي قد انطلق من المدرسة هذه الأخيرة التي يطلب منها:

- تطبيق التشريعات والقوانين التي تحمي اللغة العربية؛
- تعليم الناشئة اللغة العربية بدءًا من الحضانة والحرص على استعمال اللغة العربية غير المقعّرة؛
- الدعوة إلى الإكثار من حفظ القرآن الكريم والنصوص القديمة؛
- تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استخدام العربية؛

- تفعيل المناشط اللغوية من إذاعة وصحافة مدرسية ومجلات وكتابة الإعلانات واللافتات؛
- إعادة النظر في محتوى المناهج؛
- ضبط القصور والخلل الموجود في الكتاب المدرسي، وخاصة كتاب النحو؛
- تشجيع القراءة الخارجية بفتح مكتبات المؤسسات؛
- إجراء دورات تدريبية لحسن الأداء اللغوي للمعلمين؛
- الإكثار من البرامج التلفازية الموجهة للأطفال، وتكون لغتها بعربية مبسطة.

ل)- وزارات التعليم العالي والبحث العلمي؛ إذا تمّ مسح جميع الجامعات الجزائرية وأغلب الدول العربية فإن الملاحظة الأولى التي يمكن أن نخرج بها هي: التوسع المستمر للغات الأجنبية والتراجع الخطير في استعمال اللغة العربية في تقديم المحاضرات الذي يجمع ميادين مختلفة وتكوينات متعدّدة ولما كان ذلك كذلك فإنّ المؤلف يرى الحاجة الملحة إلى إصلاح هذا الخلل بـــ:

- التزام أعضاء الهيئة التدريسية استخدام اللغة العربية السليمة في التكوين؛
- تعميم استعمال العربية في كافة مراحل التكوين، وفي كلّ التخصصات؛
- تفعيل وحدات البحث اللغوي بفتح مشاريع حول من يقدم أحسن عمل في قضايا استعمال العربية؛
- تدريس مادة اللسانيات التطبيقية في مختلف التخصصات؛

- إنشاء وحدات بحث تختصّ بالترجمة في كلّ جامعة عربية؛
- ضرورة تدريس بعض المواد العلمية ذات التكنولوجية العالية باللغات الأجنبية؛
- الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالفصحى.

م)- وزارات الثقافة: وهي بدورها يمكن خدمة هذا الهدف السامي بـــ:

- تسهيل عملية إلقاء المحاضرات بالعربية حول تنمية الوعي اللغوي والاعتزاز بالهوية؛
- فرض استعمال العربية في المحاضرات التي يدعى إليها الجمهور العريض؛
- العمل على طبع الكتاب العربي بكلّ أشكاله وأصنافه وأنواعه؛
- سنّ جوائز حول أفضل إبداع باللغة العربية؛
- تخصيص أعياد وأسابيع تعمل على تدعيم حسن استعمال اللغة العربية؛
- إيصال الكتاب العربي إلى القارئ مدعّمًا؛
- رفع وتيرة الترجمة من وإلى اللغة العربية؛
- تبادل الوفود العربية العلمية والأدبية والفنية، والتكثيف من الأسابيع الثقافية العربية؛
- تفعيل المسرح المدرسي، والإكثار من المسرحيات الناطقة بالعربية المبسّطة.

س)- وزارات الإعلام: ويرى المؤلف أن لهذه السلطة الرابعة دورًا هامًا في تبديد عقدة النقص تجاه انتمائنا وحضارتنا، ويكون المطلوب منها:

- تكثيف المحاضرات العلمية حول الانتماء الوطني والعربي والإسلامي والإنساني، والتأكيد على الأبعاد الهوياتي؛
- بثّ برامج تلفازية تعنى بالعربية من حيث سماتها وخصائصها وجمالها وتقديم روائعها من قبل البرامج؛
- بذل الجهد في امتداح الفصحى وخصائصها، ومنع العاميات من المنابر وفي الشاشات وفي البرامج؛
- تأسيس قنوات عربية بالعربية الفصحى لا غير؛
- رفض كلّ المسرحيات والدراما والإعلانات الدارجة؛
- وضع مدّقق لغوي في كلّ قنوات الإعلام؛
- سنّ جوائز حول أحسن أداء باللغة العربية؛
- العمل على زيادة المحتوى العربي في الشابكة.

ع)- **وزارات الشؤون الدينية:** يشهد هذا القطاع في أغلب البلدان العربية تحسّنًا نوعيًا على مستوى صنع العربية الفصيحة واستعمالها في مختلف المناسبات والأوقات، ورغم ذلك إلاّ أنهم يمكن إبراز نجاحهم أكثر بالاعتماد على:

- تبيان دور العربية باعتبارها لغة القرآن، وضرورة الاهتمام بها والعمل على ترقيتها؛
- التركيز في الخطب على الوعظ والوعي بأهمية الحفاظ على الهوية اللغوية؛
- التأكيد على بعد اللغة العربية من مسلمات بعد الدين الإسلامي؛
- رفع المستوى اللغوي لخطباء المساجد؛
- سن جوائز حول أفضل إمام يقدّم دروسه باللغة العربية الفصيحة؛

- تفعيل العربية في الزوايا بما يجاري العصر.

ف)- وزارات الصحة: إذا كانت وزارة الشؤون الدينية قد نجحت في هذا المهام فإنّ الطامة الكبرى قد وقعت في وزارة الصحة أين تمّ القضاء تمامًا على اللغة العربية، إلى درجة أن المواطن البسيط أصبح يكره هذا القطاع بسبب تلك الأصوات الغريبة التي يسمعها من تكلّف الطبيب والممرض وكل القائمين على هذا القطاع الحساس، ونظرًا لعمق مشكلة هذا القطاع فإنّ الحلّ هو مراجعته عن بكرة أبيه، ولكن المؤلف يرى صلاحية بعض الوصايا مثل:

- التنبيه إلى أخطار عدم تدريس الطبّ بالعربية على الأجيال القادمة؛
- إلزام الأطباء بالعمل باللغة العربية في بعدها الميسّر؛
- المتابعة اليومية الجادة لإيجاد الحلول للصعوبات التي تصادفها عملية التعريب؛
- ضرورة تدريس بعض المواد الحديثة جدًّا باللغات الأجنبية؛
- إلزام الجهاز الطبّي المساعد لاستعمال العربية في محادثاتهم مع المرضى؛
- مواصلة العمل على تدريب المصطلح الطبّي؛
- التعاون بين الجامعات العربية التي سار فيها التعريب خطوات جيّدة؛
- التعاون مع المنظمة العربية للصحة في مجال إنتاج المصطلحات الطبية؛
- الدعوة إلى إحياء الطبّ العربي (والطبّ البديل)؛

- تشجيع الجمعيات والمنظمات الطبية العربية على عقد اجتماعات يحضرها اختصاصيون غربيون وعرب لتفعيل تعريب الطبّ؛
- تفعيل المنظمة العربية للصحة من أجل الوفاء بمهامها في مدّ الأستاذ بالمصطلح الموحّد، والطالب بالكتاب المعرّب؛
- سنّ جوائز للأطباء الذين يكتبون وصفاتهم بلغة عربية سليمة.

ص)- وزارات الشؤون الاجتماعية: ويرى المؤلف أن لهذه الوزارات دورًا يوميًا مع كافة فئات المجتمع المدني، ومن هنا فمطلوب منها:

- بثّ الوعي الوطني بضرورة الاهتمام باللغة العربية؛
- ملء الاستمارات باللغة العربية إجبارًا؛
- جعل آلات الدفع والسحب مكتوبة باللغة العربية.

وما قيل عن هذه الوزارات ينسحب أيضا على مؤسسات الجيش والخارجية ومختلف الهيئات وهياكل الدولة، ونجاح هذه المشروع الضخم مرهون بصرامة القانون وبحماسة الأمة وتكثيف جهودها وتوجيهها نحو هذا الهدف العام الذي لا يختلف عن استرجاع البلاد وتحرير الاقتصاد والحرص من الأمن الغذائي.

خاتمة: إنّ الذي حفّزني على الكتابة في هذا الموضوع هي الإشكالية والقضية التي عالجها بعزيمة وجدّية، فأحيى به جراحي ومآسينا المتعلقة باللغة العربية في الجزائر وفي كافة الأمة العربية، وها نحن نبارك للمؤلف هذا العمل المتميّز، ونتمنى أن يتقبله كلّ القراء بالقبول الحسن، ويعطوه المكانة التي يستحقها فما دام هناك قلب واحد يغار على اللغة العربية فإنّ الزمن لم ينتهي بعد والعودة ممكنة بالنسبة لهذه اللغة الطيبة ولهذه الثقافة الزكية، فهذه شمعة تنير الدرب لمن يتعظ؛ لأنّ إشعال شمعة واحدة أحسن

ألف مرّة من قضاء عمر كامل في لعن الظلمات، ونحن جميعًا كطلبة وكباحثين وأساتذة نثبّت المؤلف على طموحاته هذه وعلى اجتهاداته هذه محتسبًا له الأجر من الله والشكر من الأجيال القادمة فليس أحسن ولا أروع من أن يجاهد الإنسان في سبيل مقوماته الشخصية، **لأنّه من لا لغة له لا وطن له ولا حقّ له في الوجود.**

المصادر:

1- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة. دار الأمة، ط2، الجزائر: 2007م.

2- صالح بلعيد (... يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم) دار هومه، دط الجزائر: 2010م.